أثر الصلات العلمية بين الدولة الأيوبية والخلافة العباسية في ازدهار الحياة الثقافية في المجتمع الإسلامي

الدكتورة: آمنة بنت حسين جلال *

* بكالوريوس من جامعة الملك عبدالعزيز فرع مكة المكرمة، ١٣٩٦هـ.
- ماجستير من جامعة أم القرى، ١٤٠٠هـ.
- دكتوراة من الجامعة نفسها، ١٤٠٨هـ
- تعمل الآن أستاذاً مشاركاً بقسم التاريخ الإسلامي- جامعة أم القرى.

المقدمة :

يمثل هذا البحث دائرة تركيز على الصلات العلمية بين قطبي الحضارة العربية الإسلامية في الحقبة الأيوبية ممثلة بدولة بني أيوب في مصر والشام والخلافة العباسية في بغداد، وبيَّن بما لا يدع مجالاً للشك بأن العلاقات الودية والتبادل الثقافي ممثلاً بجانبيه العلمي والأدبي كان متواصلاً كما كان في الحقب السابقة له ولم يكن ثمة قطيعة علمية بين الدولتين، وجهد البحث للإجابة عن تساؤلات بحثية من مثل : ما طبيعة هذه الصلات ؟ وهل العلاقات كانت من جانب واحد أو من الجانبين ؟ وما أثر هذا التواصل العلمي على العلم ذاته وعلى المجتمع ؟ هل ثمة دور للساسة فيه أم جاء عفو الخاطر ؟

إن بعض هذه الأسئلة جاءت الإجابة عليها مباشرة ضمن عناوين رئيسة في البحث وبعضها الآخر جاءت الإجابة عنه ضمن ثنايا البحث .

وقد ألقى البحث ضوءاً على آلة الصلة وهي الرحلة، حيث مثلت الرحلة بشتى أهدافها الدينية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والسياحية والعلمية مظهراً من مظاهر الحضارة العربية الإسلامية .

وألقى البحث أيضاً ضوءاً على مراكز علمية أخرى غير العواصم السياسية ؛ بغداد ودمشق والقاهرة، وبين أن بقية الأمصار داخل الدولتين كانت على عناية فائقة بالحركة العلمية والصلات الثقافية العامة نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر : الفسطاط وحلب والموصل . مما أشار بوضوح إلى أن التبادل العلمي كان واسعاً مما يدل دلالة واضحة على أن الحركة العلمية في تلك الأمصار كانت مزدهرة أيما ازدهار وأن العلماء شكلوا حلقات وصل بين أقطار العالم الإسلامي مع غض النظر عن التناحر السياسي أو المصالح الدنيوية .

كما أشار البحث إلى أثر هذه الصلات في دعم الجهاد ورفد المجاهدين على المستويين المادي والمعنوي بحيث شكل العلماء قوة تعبئة معنوية في قتال الصليبيين وغيرهم من أعداء الأمة.

لذا جاء البحث ضمن هذه المقدمة وتمهيد يعرض اهتمام العالم في تلك الحقبة بالعلم والتدريس من الشعب ومن السلطان وثلاثة محاور هي : أشهر العلماء العراقيين وأشهر العلماء الشاميين وأشهر العلماء المصريين وخاتمة لخصت تلك المحاور وثبت للمصادر والمراجع .

التمهيد :

اهتمام الخلفاء والأمراء والعلماء بالعلم والتدريس :

كانت العلاقات السياسية بين الأيوبيين في مصر والشام، والخلافة العباسية في بغداد، قد اتصفت بصورة عامة بالود والاحترام المتبادل، فقد جاءت الصلات العلمية لتؤكد بدورها استمرار تلك العلاقات الطيبة بينهما في المجال الفكري، وبعد أن قامت الدولة الأيوبية السُنية في مصر على أنقاض الخلافة الفاطمية الشيعية، كان من أهم مبادئ السياسة الأيوبية الداخلية والخارجية القضاء على النفوذ الشيعي في البلاد؛ لتحقيق هذا الهدف، شجع سلاطين بني أيوب تعاليم السُنة ورعوا الفقه السُني والمذاهب السُنية وأنفقوا على تعليمها بسخاء لا نظير له وتمظهر ذلك مادياً بتشييد المدارس السُنية المختلفة، ودور الحديث والربّط والخانقاوات للعلماء ورجال الصوفية

المغتربين[1] وسرعان ما أصبحت المساجد، بالإضافة إلى المدارس ودور العلم، من أهم المراكز الثقافية في بلاد الشام ومصر .

ومن ناحية أخرى فإن الخلافة العباسية في بغداد لم تكن هي الأخرى أقل اهتماماً من سلاطين بني أيوب في رعايتها للحركة العلمية والثقافية داخل إطار المذهب السُني كما سيظهر في البحث .

ولا يخفى على الدارس للتاريخ أن الرحلة بشتى أهدافها الدينية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والسياحية والعلمية تمثل مظهراً أساسياً من مظاهر الحضارة العربية الإسلامية، ويعد دورها الأبرز في الربط بين الخصوصيات الثقافية بين الأمصار بغية تشكيل لخدمة المجتمع الواحد، وقد كانت الرحلات الخاصة بطلب العلم والاستزادة منه تشكل جانباً كبيراً من جوانب الحياة الثقافية العامة فجاءت على صورة رحلات دراسية يهدف أصحابها إلى لقاء المشايخ الكبار والأخذ عنهم، والرجوع بالإجازات التي تخولهم رواية الحديث النبوي الشريف، ومختلف فروع العلوم العربية والإسلامية ؛ لذا غلبت على الرحلات التي تمت معالجتها في هذا البحث الصفة العلمية والدينية، ضمن تبادل علمي واسع بين المدن الرئيسة بالإضافة إلى العواصم .

يتضمن هذا البحث مجموعة من المتابعات الخاصة لنماذج من الصلات العلمية بين قطبي الحضارة الإسلامية : الدولة الأيوبية في الشام ومصر، والخلافة العباسية في بغداد . وقد أظهر البحث أهمية الرحلة التي تمثل مظهراً من مظاهر الحضارة العربية الإسلامية في توثيق الصلات العلمية وتبرز دورها في الربط بين ثقافة الدولتين .

وقد تسابق الخلفاء العباسيون، خاصة في أواخر عصر دولتهم، إلى بناء المدارس

---

(١) تحدث ابن جبير في رحلته عن اهتمام صلاح الدين الأيوبي وعنايته برجال العلم المغتربين، وما كانوا يجدونه من أنواع الرعاية والعطف . انظر ابن جبير، أبو الحسن محمد بن أحمد الكناني الأندلسي (ت ٦١٤هـ/١٢١٧م) . **الرحلة**؛ تحقيق حسين نصار ٠- القاهرة، ١٩٦٨م، ص١٥، ص١٧-٢٤٥ إلى ص٢٥٩ . المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي (ت٨٣٢هـ/١٤٢٩م) . **الخطط المقريزية المسماة المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار**، د.ط، مكتبة الأدب، (د.ت)، ج٢، ص٢٧٤، ص٤١٤، ص٤١٥ . غنيمة، محمد عبد الرحيم . **تاريخ الجامعات الإسلامية** ٠- بيروت، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م، ص١٠٠، ص١٠٤، ص٢١٢، ص٤١٣ .

ودُور العلم[١]، فضلاً عن اقتناء الكتب النفيسة ونقلها إلى المكتبات العامة التي أنشئت لذلك الغرض[٢]، فعلاوة على المدرسة النظامية التي أنشئت في منتصف القرن الخامس الهجري الحادي عشر للميلاد، شيد الخليفة العباسي المستنصر بالله مدرسته المشهورة التي عُرفت باسم المدرسة المستنصرية سنة ٦٣١هـ/١٢٣٣م ؛ لتدريس المذاهب السُنية الأربعة، وقد أشاد المؤرخون بأهمية تلك المدرسة ومدرسيها، ودورهم في ازدهار الحركة العلمية في العراق والشام ومصر[٣] .

ومن هنا التقت رغبة الأمراء الأيوبيين والخلفاء العباسيين على تدعيم المذهب السُنـي، والنهوض بالحركة العلمية والثقافية إلى المستوى المطلوب، مما تطلب تعاوناً بين مدارس القاهرة والإسكندرية وحلب ودمشق وبغداد، وغدت جميعاً مراكز مهمة للتبادل الفكري والحضاري في مختلف الدراسات والعلوم، وأهمها علوم الحديث والتفسير والفقه واللغة والأدب .

وفي إطار هذا التعاون وصلت جموع العلماء والشيوخ العراقيين في أعداد كبيرة من بغداد إلى بلاد الشام ومصر، حيث وجدوا البيئة الصالحة، والمناخ الملائم ؛ للاشتغال بالعلم والتدريس بمواده المختلفة ؛ إذ أقبل عليهم أهل مصر والشام إقبالاً شديداً، ينهلون

---

(١) ذكر الرحالة ابن جبير أنَّ عدد المدارس في بغداد بلغ حوالي ثلاثين مدرسة لتعليم علوم القرآن والفقه والحديث وتدريسها. انظر : **رحلة ابن جبير**، ص٢٠٥ .

(٢) أمر الخليفة الناصر سنة ٥٨٩هـ/١١٩٣م بتعمير خزانة الكتب بالمدرسة النظامية، ونقل إليها في تلك السنة ما يقارب من عشرة آلاف مجلد من الكتب النفيسة . انظر : ابن الأثير، عز الدين علي بن محمد بن عبد الكريم (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م). **الكامل في التاريخ** ٠- القاهرة، ١٣٥٧هـ/١٩٣٨م، ج١٢، ص١٠٤ . سبط ابن الجوزي، شمس الدين أبو المظفر يوسف ابن قزاوغلي (ت ٦٥٤هـ/١٢٥٧م) . **مرآة الزمان في تاريخ الأعيان** ؛ تحقيق مسفر بن سالم الغامدي، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، ج٨، ص٤٢١ . الخزرجي، أبو العباس إسماعيل ابن العباس بن رسول الغساني (ت ٨٠٣هـ/ ١٤٠٠م) . **العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك**؛ تحقيق شاكر عبد المنعم : بغداد: دار البيان، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م، حوادث عام ٥٨٩هـ .

(٣) سبط ابن الجوزي . **مرآة الزمان**، ج٨، ص٧١٩ . الأربلي، عبد الرحمن بن إبراهيم سبط فيو (ت ٧١٧هـ/١٣١٧م) . **خلاصة الذهب المسبوك مختصر من سيرة الملوك**؛ تصحيح مكي السيد جاسم ٠- بغداد، ص٢٨٦، ص٢٨٨ . ابن الفوطي، عبد الرزاق بن أحمد (ت ٧٣٢هـ/١٣٣١م) . **الحوادث الجامعة والتجارب النافعة** ؛ تحقيق بشار عواد معروف وعماد عبد السلام رؤوف ٠- ط١ ٠- بيروت : دار المغرب الإسلامي، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، ص٨٠، ص٨٥ . ناجي معروف، **تاريخ علماء المستنصرية** ٠- ط٢ ٠- بغداد، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٥م، ج١، ص٣١، ص٤٢، ص٤٣ .

من علمهم، ويتتلمذون على أيديهم، وصار لكل أستاذ أو شيخ طلبته الذين يحرصون على حضور مجلس أستاذهم بانتظام ؛ ليسمعوا منه الحديث الشريف، والتفسير، والفقه، واللغة، وغير ذلك من العلوم المتداولة في ذلك العصر . وقد شارك معظم ملوك بني أيوب وأمرائهم في تلك الدروس الدينية والعلمية، بل إن الملك المعظم عيسى[1] صاحب دمشق، كان يأتي إلى مجلس العلم ماشياً، ويأخذ مكانه بين سائر الطلبة، وكتابه تحت إبطه[2].

ولم تقتصر مهمة العلماء العراقيين على التدريس والوعظ، وإنما أسهم بعضهم في بناء المدارس؛ لتدريس المذاهب السُنية في بلاد الشام على نفقتهم الخاصة[3] .

أشهر العلماء العراقيين :

نبغ علماء العراق في العلوم الدينية، وأسهموا إسهاماً كبيراً في الحركة الثقافية في بلاد الشام ومصر في ذلك العصر، واشتهر منهم الشيخ عبد اللطيف البغدادي، والتاج الكندي، وسبط ابن الجوزي، وغيرهم .

أما عبد اللطيف البغدادي[4] فقد برز في علوم النحو واللغة والطب والفلسفة والمنطق،

---

(١) هو الملك المعظم سلطان الشام، شرف الدين عيسى بن العادل، الفقيه الأديب. ولد بالقاهرة ٥٧٦هـ/١١٨٠م، وحفظ القرآن وبرع في الفقه، وشرح الجامع الكبير في عدة مجلدات، وسمع المسند لابن حنبل، وله شعر كثير، توفي ٦٢٤هـ . الذهبي، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ/١٣٤٧م). **العبر في خبر من غبر**؛ تحقيق صلاح الدين المنجد ـ الكويت، ١٣٨١هـ/١٩٦١م، ج٢، ص١٦٤ .

(٢) الحموي، ياقوت بن عبد الله (ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م) . **إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب المعروف بمعجم الأدباء**؛ تحقيق مرغوليوت، دافيد صمويل ـ ط١ ـ القاهرة، (د.ت)، ١٣٤٦هـ/١٩٢٧م، ج٤، ص٢٢٣ . سبط ابن الجوزي . **مرآة الزمان**، ج٨، ص٥٧٥، ص٦٤٤، ص٦٤٦ . الحنبلي ، ضياء الدين إبراهيم بن محمد (ت ٨٥٠هـ/١٤٤٦م) . **شفاء القلوب**، مخطوط دار الكتب المصرية، تاريخ، ٦٥٤٨، تاريخ، رقم ٥٢٧٢، ورقة ٧٥، ٧٦ .

(٣) النعيمي، عبد القادر بن محمد بن عمر (ت ٩٢٧هـ/١٥٢٠م) . **الدارس في تاريخ المدارس** ؛ تحقيق جعفر الحسني ـ القاهرة، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ج١، ص٢٠٥، ٢٠٦، ٤٧٩، ج٢، ٢٩، ٣٢ .

(٤) البغدادي : هو موفق الدين أبو محمد عبد اللطيف بن يوسف البغدادي (ت٦٢٩هـ/١٢٣١م) . نشأ في بغداد وتعلم بها، وزار دمشق ومصر واشتغل بالتدريس في هذه المناطق، واتصل بالسلاطين الأيوبيين في مصر والشام . ابن أبي أصيبعة، أحمد ابن القاسم بن خليفة (ت ٦٦٨هـ/١٢٦٩م) . **عيون الأنباء في طبقات الأطباء** ؛ تحقيق نزار أحمد رضا ـ بيروت: مكتبة الحياة، ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م، ج٣، ص٣٣٠، ٣٥٠ . الكتبي، أبو عبد الله محمد بن شاكر (٧٦٤هـ/١٢٦٩م). **فوات الوفيات**؛ تحقيق إحسان عباس ـ بيروت : دار صادر، ج٢، ص١٦، ١٩ . السبكي ، تاج الدين عبد الوهاب (ت٧٧١هـ/١٣٦٩م). **طبقات الشافعية الكبرى**؛ تحقيق عبد الفتاح الحلو ومحمد الطناحي ـ القاهرة، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م، ج٤، ص٢٣٢،

وقد قدم من بغداد إلى مصر أواخر القرن السادس الهجري الثاني عشر للميلاد، حيث اتصل بعلمائها وأمرائها، ثم غادر مصر عام ٥٨٣هـ/١١٨٧م قاصداً السلطان صلاح الدين الأيوبي في بلاد الشام؛ فرحب به السلطان، وأكرمه غاية الإكرام، وحضر بنفسه مجالسه العلمية والأدبية، وقد وجد الشيخ عبد اللطيف كثيراً من علماء وأعيان بغداد في مدينة دمشق، فتناظر معهم في مواد علمية كثيرة، وحول هذا المعنى يقول الشيخ عبد اللطيف: «ولما دخلت دمشق وجدت فيها من أعيان بغداد والبلاد من جمعهم الإحسان الصلاحي جمعاً كثيراً»[١] . وبعد وفاة صلاح الدين عام ٥٨٩هـ/١١٩٣م زار عبد اللطيف مصر، ولقي فيها كل حفاوة وترحاب من الملك العزيز عثمان[٢]، ثم من الملك العادل الكبير، وبقي فيها أعواماً طويلة يدرِّس في مدارسها، وخاصة في الجامع الأزهر، وقد التف حوله عدد من طلاب العلم المصريين الراغبين في الانتفاع بعلمه. هذا بالإضافة إلى أنه قام في الوقت نفسه بدراسة أحوال مصر الجغرافية والطبيعية والتاريخية، وجمع كل ذلك في مؤلف قيم أسماه «أخبار مصر»[٣]، غير أن هذا الكتاب النفيس فُقِدَ معظمه، ولم يصلنا منه إلا شذرات، تقع في ست وثمانين صفحة، صدرت طبعتها الأولى عن مطبعة وادي النيل عام ١٢٨٦هـ في مجلد واحد، أطلق عليها اسم: «الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر» . وجاء هذا الكتاب على صورة مقالات مختصرة كتبها المؤلف بأسلوبه العلمي، عن خواص مصر وظواهرها الطبيعية، والأثرية، والتاريخية، ولم ينس أن يذكر فيه أيضاً ما شاهده من حوادث الوباء الذي عم مصر عام ٥٩٧هـ/١٢٠٠م وعاينه[٤] .

ص٢٢٣ . ابن العماد، أبو الفلاح عبد الحي الحنبلي (ت١٠٨٩هـ/١٦٧٨م) . **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**؛ تحقيق لجنة التراث القومي - بيروت: دار الأوقاف، د.ط، ج٥، ص١٣٢ .

(١) ابن أبي أصيبعة . **عيون الأنباء**، ج٣، ص٣٣٤ .

(٢) الملك العزيز أبو الفتح عثمان بن السلطان صلاح الدين الأيوبي. كان شاباً ظريف الشمائل قوياً ذا بطش كريم، صاحب عفة. توفي ٥٩٥هـ/١١٩٨م . الذهبي . **العبر**، ج٣، ص١١١ .

(٣) ابن أبي أصيبعة . **عيون الأنباء**، ج٣، ص٣٤٦، ٣٤٧ - ابن شاكر الكتبي. **فوات الوفيات**، ج٢، ص١٧، ص١٨ .

(٤) البغدادي، موفق الدين أبو محمد عبد اللطيف بن يوسف (ت ٦٢٩هـ/١٢٣١م) . **الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر** - ط١ - القاهرة: مطبعة وادي النيل، ١٢٨٦هـ، ص٦٢، ٧٣ .

وغادر الشيخ عبد اللطيف في عام ٦٠٤هـ/١٢٠٧م مصر متوجهاً إلى بلاد الشام، حيث أخذ ينتقل بين مدنها المشهورة كدمشق، وحلب، وبيت المقدس، ليلقي المحاضرات والدروس في مدارس وجوامع تلك المدن، فأقبل عليه عدد كبير من أهل العلم يسمعون منه ويقرأون عليه مختلف العلوم الدينية والعلمية، وعلى هذا الأساس مكث الشيخ عبد اللطيف في مدينة دمشق فترة طويلة، وأخذ يدرِّس فيها بالجامع الأموي، وبالمدرسة العزيزية[١]، وقد اهتم الشيخ البغدادي بدرس الطب خاصة وتدريسه، حتى أصبح من رواده المشهورين؛ فتردد عليه جمع كثير من المشتغلين بهذا الفن، ومنهم بعض أفراد أسرة العالم الطبيب المعروف «ابن أبي أصيبعة» وغيرهم من الطلبة الباحثين[٢]. ثم غادر الشيخ عبد اللطيف دمشق إلى حلب، وأمضى فيها بقية حياته، مكباً على التدريس، وإلقاء الأحاديث الدينية في جامعها، حتى اشتاق أخيراً إلى بغداد وطنه الأول، فعاجله الموت في بغداد سنة ٦٢٩هـ/١٢٣١م.

وأما التاج الكندي[٣] فكان من علماء بغداد المشهورين. قدم إلى دمشق سنة ٥٦٣هـ/١١٦٧م وبقي بها حتى وفاته سنة ٦١٣هـ/١٢١٦م، وقد وُصف تاج الدين بأنه أوحد زمانه في فنون الأدب وعلم النحو واللغة، تنقل بين حلب ودمشق والقاهرة، فأقبل عليه العلماء والطلبة في تلك البلاد لينتفعوا بعلمه، فرحل إلى مصر والتقى رجال الفكر والأدب بها كالقاضي الفاضل عبد الله بن بري[٤]، ثم استقر أخيراً في دمشق بعد أن لقي كل

(١) بدأ الملك الأفضل ابن صلاح الدين الأيوبي في تشييد هذه المدرسة في دمشق لتدريس المذهب الشافعي، ثم أتمها من بعده أخوه الملك عبد العزيز عثمان فسميت باسمه. النعيمي. **الدارس في تاريخ المدارس**، ج١، ص٣٨٢، ٣٨٧.

(٢) ابن أبي أصيبعة. **عيون الأنباء**، ج٣، ص٣٣٠، ٣٣١.

(٣) التاج الكندي: هو أبو اليمن زيد بن الحسن بن سعيد الكندي الملقب بتاج الدين (ت ٦١٣هـ/١٢١٦م). درَس اللغة والنحو والفقه وعلم الحديث بين المدن الإسلامية حلب ودمشق وبغداد والقاهرة، وتتلمذ على يديه السلاطين والأمراء. ياقوت الحموي. **إرشاد الأريب**، ج٤، ص١٢١. سبط ابن الجوزي. **مرآة الزمان**، ج٨، ص٥٧٥، ٥٧٧. أبو شامة المقدسي، عبد الرحمن بن إسماعيل (ت ٦٦٥هـ/ ١١٧٠م). **ذيل الروضتين** - بيروت، دار الجيل، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م، ص٩٥، ٩٨. ابن خلكان: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد (ت ٦٨١هـ/١٢٨٢م). **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**؛ تحقيق محمد عبد الحميد - القاهرة، ١٩٤٨م، ج٢، ص٣٣٩، ٣٤٠.

(٤) هو أبو محمد عبد الله بن بري من أشهر علماء اللغة والنحو في مصر. درس على أساتذة عصره من العلماء المصريين والعراقيين الذين أقاموا في مصر، وقصده الطلبة وانتفعوا به. توفي بمصر سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م. ابن خلكان. **وفيات الأعيان**، ج٣، ص١٠٨، ١٠٩ - السبكي. **طبقات الشافعية**، ج٤، ص٢٣٣، ٢٣٤.

تشجيع ورعاية من صاحبها الملك المعظم عيسى، الذي كان يتردد عليه في منزله بين الحين والآخر يسمع منه علم اللغة والنحو، وقرأ عليه المعظم كتاب سيبويه والمفصَّل للزمخشري وغيرهما من الكتب اللغوية والنحوية الأخرى حتى أصبح المعظم لغوياً ونحوياً كبيراً[١]، ولم يكن المعظم وحده من ملوك بني أيوب الذين تتلمذوا على التاج الكندي، وإنما صحبه منهم عز الدين فروخشاه[٢]، وأبوه الملك الأمجد صاحب بعلبك، وتقي الدين عمر صاحب حماة[٣]، وكذلك الملك الأفضل ابن صلاح الدين[٤]، وكان تاج الدين يدرس بالإضافة إلى علم النحو واللغة، علم الحديث والفقه في ركن بإحدى زوايا الجامع الأموي بدمشق، وشيد الملك المعظم عيسى في ذلك المكان مدرسة عُرفت باسم المدرسة «التاجية» نسبة إلى تاج الدين الكندي[٥] . وترك الكندي وراءه ثروة نفيسة من المؤلفات العلمية والأدبية تقدر بسبعمئة وواحد وستين مجلداً وقفها جميعها على طلاب العلم من بعده[٦].

وأما سبط ابن الجوزي فهو الواعظ والمؤرخ المشهور[٧] حفيد العلامة العراقي

---

(١) سبط ابن الجوزي . **مرآة الزمان**، ج٨، ص٥٧٧، ٦٤٤، ٦٤٧ . ابن واصل، جمال الدين محمد بن سالم (ت ٦٩٧هـ/١٢٩٨م). **مفرج الكروب في أخبار بني أيوب**، ج٤ ؛ تحقيق حسين ربيع ٠- القاهرة : دار الكتب، ١٩٧٢م، ج٤، ص٢١٠، ٢١٢ . أبو الفداء، الملك المؤيد إسماعيل (ت ٧٢٣هـ/١٣٢٣م) . **المختصر في أخبار البشر** ٠- القاهرة، ج٤، ص٣٦، ٣٧ .

(٢) فروخشاه بن شاهنشاه بن أيوب بن شاذي عز الدين، صاحب بعلبك، وأبوه صاحبها الملك الأمجد ونائب دمشق لعمه صلاح الدين، كان ذا معروف وبر وتواضع وأدب، وكان للتاج الكندي به اختصاص. توفي بدمشق سنة ٥٧٨هـ/١١٨٢م. الذهبي . **العبر في خبر من غبر**، ج٣، ص٧٦ .

(٣) تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب الملك المظفر صاحب حماة، أحد الأبطال الموصوفين. كان عمه صلاح الدين يحبه ويعتمد عليه، وكان نائبه على مصر. توفي وهو محاصر مدينة «منازكرد» سنة ٥٨٧هـ/١١٧١م، ودفن بمدينة «حماة» . الذهبي . **العبر في خبر من غبر**، ج٣، ص٩٤ .

(٤) أبو شامة. **ذيل الروضتين**، ص٩٥، ٩٦ .

(٥) النعيمي . **الدارس في تاريخ المدارس**، ج١، ص٤٨٣، ٤٨٤ .

(٦) الحموي . **إرشاد الأريب**، ج٤، ص٢٢٣ . ابن كثير، عماد الدين إسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤هـ/١٣٧٢م) . **البداية والنهاية** ٠- بيروت، ١٩٤٤م، ج١٣، ص٧٢ .

(٧) سبط ابن الجوزي : هو شمس الدين يوسف بن قزا أوغلي. ولد في بغداد، وتفقه على يد علمائها، وخاصة جده لأمه ابن الجوزي، وغيره من علماء بغداد وشيوخها، كانت له صلة قوية بسلاطين الشام، (ت ٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م) . اليونيني، قطب الدين أبو الفتح موسى (ت ٧٢٦هـ/١٣٢٥م). **ذيل مرآة الزمان**، دار المعارف العثمانية، حيدر آباد، الدكن، ١٣٧٤هـ/١٩٥٤م، ج٢، ص٤٠، ص٤٣ . ابن كثير. **البداية والنهاية**، ج١٣، ص١٩٤. الفاسي : محمد بن أحمد (ت ٩٥٨هـ/١٥٥١م). **تاريخ علماء بغداد** ٠- بغداد، ١٣٥٧هـ/١٩٣٨م، ص٣٢٦ .

عبد الرحمن بن الجوزي[1] . ولد سبط ابن الجوزي في بغداد وتفقه على يد جده لأمه ابن الجوزي وغيره من شيوخ وعلماء بغداد، وكان حنبلي المذهب، ثم أصبح حنفياً كالتاج الكندي . قدم إلى بلاد الشام عام ٦٠٠هـ/١٢٠٣م، وتنقل بين المدن الشامية يسمع ويقرأ على علمائها من أمثال تاج الدين الكندي وجمال الدين الحرستاني وغيرهما[٢]، ثم رحل سبط ابن الجوزي إلى مصر وحدث بها، لكنه سرعان ما عاد مرة أخرى إلى بلاد الشام، حيث بلغ فيها منزلة عالية لم يبلغها غيره من العلماء عند ملوك بني أيوب .

اشتهر سبط ابن الجوزي بالتدريس والوعظ والتأليف؛ إذ كان له مجلس وعظ في الجامع الأموي كل يوم سبت، وكان الناس يحرصون على سماع حديثه حتى إنهم كانوا يتركون بساتينهم في فصل الصيف موعد نضج الفاكهة، ويأتون إلى المسجد في الموعد المحدد، حتى لا تفوتهم كلمة واحدة من حديثه[٣] . ولم يقتصر سبط ابن الجوزي على الوعظ في المساجد، وإنما كان أستاذاً في علم الحديث والفقه واللغة، بالإضافة إلى كونه مؤرخاً كبيراً، وقد باشر سبط ابن الجوزي التدريس في مدارس كثيرة بدمشق، منها : المدرسة العزيزية البرانية[٤]، والمدرسة العزية الحنفية[٥]، والمدرسة الشبلية[٦]، والمدرسة البدرية[٧] .

---

(١) كان عبد الرحمن جمال الدين بن الجوزي من أشهر علماء بغداد في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي، وكان فقيهاً وعالماً كبيراً. له مؤلفات كثيرة في مختلف العلوم والفنون، توفي في بغداد عام ٥٩٧هـ/١٢٠٥م . سبط ابن الجوزي . **مرآة الزمان**، ج٨، ص٤٨٠، ص٤٨٢ . ابن خلكان . **وفيات الأعيان**، ج٣، ص١٤٠، ص١٤١ .

(٢) هو قاضي القضاة جمال الدين أبو القاسم الحرستاني. تفقه وسمع الحديث على شيوخ عصره في العراق وبلاد الشام. توفي بدمشق سنة ٦١٤هـ/١٢١٧م . السبكي . **طبقات الشافعية**، ج٥، ص٧٤، ٧٥ . ابن كثير . **البداية والنهاية**، ج١٣، ص٧٨ .

(٣) أبو شامة . **ذيل الروضتين**، ص٤٨، ٤٩ . اليونيني . **ذيل مرآة الزمان**، ج١، ص٤٠، ٤٣ . ابن كثير . **البداية والنهاية**، ج١٣، ص١٩٤ .

(٤) أنشأ تلك المدرسة لتدريس المذهب الحنفي صاحب صرخد الأمير عز الدين أيبك أُستادار الملك المعظم عام ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م. النعيمي . **الدارس في تاريخ المدارس**، ج١، ص٤٢٣، ٤٢٤ .

(٥) أنشأ تلك المدرسة أيضاً الأمير عز الدين أيبك المعظمي . النعيمي . المصدر السابق، ج١، ص٤٢٨، ٤٢٩ .

(٦) قام ببناء تلك المدرسة عام ٦١٦هـ/١٢١٩م لتدريس المذهب الحنفي الطواشي شبل الدولة الحسامي خادم الأمير حسام الدين محمد بن لاجين، ولد ست الشام بنت أيوب . النعيمي . المصدر السابق، ج١، ص٤٠٧، ٤١٢.

(٧) أنشأ تلك المدرسة الأمير بدر الدين حسن بن الداية أحد أمراء نور الدين محمود، وهي أيضاً لتدريس المذهب الحنفي، سنة ٦٣٨هـ/١٢٤٠م . النعيمي . المصدر السابق، ج١، ص٣٦٥، ٣٦٨ .

كذلك كان لسبط ابن الجوزي دور كبير في حركة الجهاد ضد الصليبيين، حتى إنه عندما ضاق المسلمون بوطأة الصليبيين عليهم في دمياط عام ٦١٧هـ/١٢٢٠م كتب إليه الملك عيسى من القاهرة يقول له: «أريد أن تحرِّض الناس في دمشق على الجهاد، وتعرفهم بما يجري على إخوانهم أهل دمياط» ففعل سبط ابن الجوزي ما طلب منه، حتى استجاب عامة الناس لما يريده[١]، توفي سبط ابن الجوزي بدمشق عام ٦٥٤هـ/١٢٥٦م.

وهناك علماء وأساتذة كثيرون قدموا من بغداد إلى الديار المصرية ومدن بلاد الشام، قصد الاشتغال بعلم الحديث والفقه، وتدريس هذه العلوم في مدارسها وجوامعها، ولم يعد كثير منهم إلى بغداد، وفضلوا الإقامة في مصر أو بلاد الشام حتى وفاتهم، ومن هؤلاء أبو شجاع الفرضي المعروف بابن الدهان[٢] الذي تنقل في طلب الحديث والاشتغال عليه بين مصر وبلاد الشام إلى أن اتخذ مدينة دمشق مكاناً لإقامته الدائمة، فأخذ يعمل في البحث والتصنيف في غرائب الأحاديث حتى وفاته سنة ٥٩٠هـ/١١٩٣م[٣].

ومن هؤلاء العلماء محمد بن عبد الغني الحافظ المعروف بابن نقطة[٤]، الذي رحل هو الآخر في طلب الحديث إلى خراسان وأصبهان وإِرْبِل ودمشق ومصر، إلى أن استقر أخيراً في مصر حتى وفاته سنة ٦٢٩هـ/١٢٣١م، وأيضاً صفي الدين أبو بكر البغدادي[٥]، الذي قدم إلى مصر واتصل بعلمائها وفقهائها لدراسة علم

(١) ابن تغري بردي، أبو المحاسن جمال الدين يوسف (ت ٨٧٤هـ/١٤٦٨م). **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة** -دار الكتب، ١٣٤٨هـ/١٩٢٩م، ج٦، ص٢٣٨، ٢٣٩. ابن العماد. **شذرات الذهب**، ج٥، ص١٨. علي، محمد كرد. **خطط الشام** - ط٢ - بيروت، ١٣٩١هـ/١٩٧١م، ج٤، ص٣٨.

(٢) فخر الدين بن الدهان محمد بن علي بن شعيب البغدادي الفرضي، الأديب النحوي الشاعر. وصل إلى الجزيرة والشام ومصر، وصنف الفرائض على شكل المنبر، فكان أول من اخترع ذلك، ألف كتاب **غريب الحديث**. توفي سنة ٥٩٠هـ/١١٩٣م. الذهبي. **العبر**، ج٣، ص١٠٣.

(٣) المنذري، عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله (ت٦٥٦هـ/١٢٥٦م). **التكملة لوفيات النقلة** - ط١ - بيروت، ١٤٠١هـ/١٩٨١م، ج٢، ص٣٩٧. ابن خلكان. **وفيات الأعيان**، ج٤، ص١٠٥، ١٠٦. ابن العماد. **شذرات الذهب**، ج٤، ص٣٠٤.

(٤) الذهبي. **العبر**، ج٣، ص٢٠٥. ابن العماد. **شذرات الذهب**، ج٥، ص١٣٥.

(٥) الذهبي. **العبر**، ج٣، ص١٥٥.

الحديث، ومنهم الحافظ الكبير ذكي الدين المنذري[١]، الذي بقي في مصر حتى وفاته ٦٣٠هـ/١٢٣٢م. أما أبو إسحاق تقي الدين الصيرفي الذي كان أحد حفاظ الحديث، فقد قدم الموصل ودمشق وبيت المقدس وحلب، وبعد أن حدث بتلك المدن التي مر بها اختار مدينة حلب للإقامة بها، حيث قام بتدريس علم الحديث والفقه بدار الحديث التي أنشأها القاضي بهاء الدين بن شداد، وبقي في مدينة حلب حتى وفاته عام ٦٤١هـ/١٢٤٣م، وقدم أبو محمد عبد الله بن سالم البجلي البغدادي[٢] إلى دمشق ومنها إلى القاهرة، وفيها لزم تدريس الحديث بالمدرسة السيوفية الحنفية[٣] وظل مدرساً بها حتى وفاته عام ٥٨٤هـ/١١٨١م .

ومن العلماء العراقيين الذين ساهموا في الحركة الثقافية في بلاد الشام، أبو القاسم محمود ابن المبارك الواسطي[٤]، فقد كان مدرساً بالمدرسة النظامية في بغداد، وبعد ذلك قدم إلى دمشق، وبنيت له مدرسة جاروخ[٥] من أجل تدريس الحديث والفقه على المذهب الشافعي، كما أنه درس بهذه المدرسة علم الطب، إلا أنه غادر دمشق إلى بلاد فارس، فاتخذ مدينة شيراز مكاناً لإقامته بها حتى وفاته عام ٥٩٢هـ/١١٩٥م .

أما الشيخ أبو الفرج حنبل بن عبد الله الرصافي[٦]، فقد خرج من بغداد إلى بلاد

---

(١) كان المنذري أحفظ أهل زمانه في علم الحديث، وكان مدرساً في علم الحديث بدار الحديث الكاملية بالقاهرة، وكان الطلبة والعلماء يقصدونه من كل مكان ليسمعوا عليه الحديث والفقه . اليونيني . **ذيل مرآة الزمان**، ج١، ص٢٤٩ . السبكي . **طبقات الشافعية**، ج٥، ص١٠٨، ١٠٩ . الفاسي . **تاريخ علماء بغداد**، ص١٤، ١٦ .

(٢) المنذري . **التكملة لوفيات النقلة**، ج١، ص٦٨ . الذهبي . **العبر**، ج٣، ص٢٤١ .

(٣) هذه المدرسة بناها السلطان صلاح الدين الأيوبي في القاهرة ووقفها على الفقهاء الحنفية، وهي أول مدرسة تقام في مصر على المذهب الحنفي . المقريزي . **الخطط**، ج٢، ص٣٦٥، ٣٦٦ . حسنين ربيع . **النظم المالية في مصر زمن الأيوبيين** ـ القاهرة، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م، ص٧٦ .

(٤) الذهبي . **العبر**، ج٣، ص١٠٦ . اليافعي، عبد الله بن أسعد (ت ٧٦٨هـ/١٣٦٦م) . **مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان** ـ القاهرة : دار الكتاب الإسلامي، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م، ج٣، ص٤٧٢، ٤٧٣، ٤٧٤ .

(٥) شيد تلك المدرسة جاروخ التركماني الملقب بسيف الدين وذلك عندما قدم أبو القاسم الواسطي إلى دمشق ليقوم بالتدريس فيها . النعيمي . **الدارس في تاريخ المدارس**، ج١، ص١٦٩، ١٧٠ .

(٦) هو حنبل بن عبد الله الرصافي راوي المسند بكامله عن أبي الحصين، سمع المسند في نيف وعشرين مجلساً . الذهبي . **العبر**، ج٣، ص١٣٧ .

الشام، واستقر في مدينة دمشق يحدث بها فترة طويلة، ولقي فيها من حاكمها الملك المعظم عيسى بن السلطان العادل كل حفاوة وتقدير، لكنه عاد إلى بغداد، فتوفي بها عام ٦٠٤هـ/١٢١٧م، بعد أن حدث في طريقه في مدينة الموصل وغيرها من البلاد الجزرية[١].

وهنـاك أيضاً علماء وأساتذة عراقيون آخرون اعتنـوا بدراسة وتدريس علم الحديث والفقـه، رحلوا مـن بغداد واتخذوا مـن بلاد الشام ومصـر مكاناً لقضـاء بقية حياتهم العلميـة، وقامـوا بدراسـة علـم الحديث والاشتغـال عليـه وتدريسه في كل مـن القاهرة والإسكندريـة ودمشق وحلب وحماة، ومن العلماء العراقيـين الذين أقاموا في بلاد الشام وكانـت وفاتهم بها كل من الشيخ أبو غالب عبد الواحد بن الحصين الملقب بالنظام الذي توفي في حلب عام ٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م، وأبو محمد عبد المجيب بن أبي القاسم الذي توفي في حمـاة عام ٦٠٤هــ/١٢٠٧م والشيخ محمود بن مسعود المنعوت بأبـي الثناء الذي توفي في دمشق عام ٦٠٩هـ/١٢١٢م، وأبو عبد الله محمد بن موهوب المعروف بابن البناء[٢] الذي تـوفي في دمشق عام ٦١٢هـ/١٢١٥م، والقاسم بن القاسم أبو محمد الواسطي الذي توفي في حلـب عـام ٦٢٦هـ/١٢٢٨م[٣]، ومـن العلماء العراقيين الذين أقامـوا في مصر وكانت وفاتهـم بها، الحسن بن أبي سـالم البغدادي المتوفى عام ٥٩٦هــ/١١٩٩م، وأبو الحسن علـي بن أبي حمزة المتوفى عام ٥٩٩هــ/١٢٠٢م، وأبو الفضل محمد بن يوسف البغدادي المتوفـى عام ٥٩٩هــ/١٢٠٢م، وأبو إسحاق إبراهيـم المعروف بابن النبيـت المتوفى عام ٦٠٥هـ/١٢٠٨م[٤].

---

(١) المنذري. **التكملة لوفيات النقلة**، ج٣، ص٩٩٨. ابن كثير. **البداية والنهاية**، ج١٣، ص٥٠.

(٢) أبو عبد الله بن البناء الشيخ نور الدين محمد بن أبي المعلى عبد الله بن موهوب بن جامع البنداري الصوفي. صحب الشيخ أبا النجيب السهروردي، وسمع من ابن ناصر، وحدث بالعراق والشام ومصر حتى توفي بدمشق عام ٦١٢هـ/١٢١٥م. الذهبي. **العبر**، ج٣، ص١٥٨.

(٣) الحموي. **إرشاد الأريب**، ج٦، ص١٨٥، ١٨٦. سبط ابن الجوزي. **مرآة الزمان**، ج٨، ص٥٦٢. المنذري. **التكملة لوفيات النقلة**، ج٢، رقم ٦١٠، و ج٣، رقم ٩٩٩، ج٤، رقم ١٤٣٨ و ١٦٨٢.

(٤) الحموي. المصدر السابق ذكره، ج٣، ص١٦٤، ١٦٥. المنذري. **التكملة لوفيات النقلة**، ج٢، رقم ٧١٣ و ٧٣٩١، و ج٣، رقم ٩٩٧ و١٠٧١. ابن الساعي، علي بن أنجب (ت٦٧٤هـ/١٢٧٥م). **الجامع المختصر**. - بغداد، ١٣٥٣هـ/١٩٣٤م، ج٩، ص١٠٦.

أشهر العلماء الشاميين :

إن الاهتمام بدراسة العلوم الدينية واللغوية وتدريسها، لم يقتصر في تلك الحقبة على العلماء العراقيين الذين وفدوا إلى بلاد الشام ومصر، وإنما شاركهم في ذلك علماء الشام ومصر الذين ذهبوا إلى بغداد، وتتلمذوا هناك على أشهر العلماء فيها كابن الجوزي، وابن طبرزد، وابن سكينة، وعبد القادر الجيلي، وغيرهم، ومما يلفت النظر أنَّ غالبيتهم لم يمكثوا في بغداد سوى فترة قصيرة من الزمن، ثم عادوا إلى وطنهم، ليستأنفوا مسيرتهم العلمية والأدبية، بالتعاون مع إخوانهم العلماء والشيوخ العراقيين، الذين فضلوا بدورهم الإقامة الدائمة في بلاد الشام ومصر . ويعود ذلك إلى أن بغداد أخذت تفقد تدريجياً زعامتها العلمية والأدبية في أواخر عهد الخلافة العباسية، وتحول ذلك النشاط العلمي والأدبي من بغداد إلى بلاد الشام ومصر، في عصر سلاطين بني أيوب .

ومن هؤلاء العلماء الذين قضوا في بغداد سنوات من عمرهم تعلموا فيها على أيدي العلماء العراقيين، أبو الحسن علي بن إبراهيم، المعروف بابن نُجية[(١)]، وقد اشتغل ابن نجية بعلم الحديث والفقه، وذهب إلى بغداد واتصل بعلمائها، ثم حدَّث في كل من : بغداد، ودمشق، والقاهرة، والإسكندرية، حتى توفي في القاهرة عام ٥٩٩هـ/١٢٠٢م[(٢)]. ومن هذه الطبقة من العلماء محمد بن المنجا الدمشقي[(٣)]، الذي تفقه في بغداد على الشيخ عبد القادر الجيلي[(٤)]، وغيره من العلماء، ثم عاد إلى دمشق، فتولى التدريس بالمدرسة المسمارية[(٥)]، حتى وفاته عام ٦٠٦هـ/١٢٠٩م .

---

(١) ابن نُجية الإمام أبو الحسن علي بن إبراهيم بن نجار زين الدين الأنصاري الدمشقي الحنبلي الواعظ. نزيل مصر. ولد عام ٥٠٨هـ/١١١٤م، وسمع من علي بن أحمد بن قيس المالكي، وكان من كبار العلماء، وكانت له وجاهة عالية . الذهبي. **العبر**، ج٣، ص١٢٦ .

(٢) ابن الساعي. **الجامع المختصر**، ج٩، ص١١٠ . الذهبي . **العبر**، ج٣، ص١٢٦ .

(٣) الذهبي . **العبر**، ج٣، ص١٤١ . ابن العماد . **شذرات الذهب**، ج٥، ص١٨، ١٩ .

(٤) هو أبو الفضل أحمد بن صالح الجيلي، أحد علماء بغداد البارزين في علم الحديث. توفي عام ٥٦٥هـ/١١٦٩م . الذهبي. **العبر**، ج٣، ص٤٥، ٤٦ .

(٥) أقام تلك المدرسة الحنبلية في دمشق مسمار الهلالي المتوفى عام ٦٠٦هـ/١٢٠٩م . النعيمي . **الدارس في تاريخ المدارس**، ج٣، ص١١٤، ١١٥ .

أمـا أبـو الفرج عبـد الرحمن الجزري المعـروف بابن الحنبلي[1]، فقـد رحل في طلب الحديـث والفقه إلى خراسـان وأصبهان وبغداد ومصر، وصحـب في بغداد أحد علمائها المشهورين وهو ابن المنى[2]، وتفقه عليه.

وبعـد ذلك حدث ووعـظ بالبلاد التـي دخلها كبغـداد، وحلب، ومصـر، وغيرها من البـلاد الإسلاميـة، إلى أن تـولى أخيراً التدريـس بدمشق في كل من المدرسـة المسمارية والصالحية[3] حتى وفاته ٦٣٤هـ/١٢٣٦م.

وكان تقـي الدين أبو عمر بن الصلاح الكـردي الشهرزوري[4] أحد فضلاء عصره في الحديث واللغة والتفسير. ذهب ابن الصلاح في طلب الحديث إلى بلاد إسلامية كثيرة، لكنـه اقتصر في نشاطه العلمي على بغداد ودمشـق، ولازم في بغداد معظم علمائها كابن طبرزد[5] وابن سكينة[6] وغيرهما من أئمة علم الحديث وأساتذته، كما أنه يلقي الحديث ويسمعه على الكثيرين من طلبة العلم العراقيين، غير أن ابن الصلاح عاد إلى بلاد الشام حيث تولى تدريس علم الحديث والفقه في المدرسة الناصرية بالقدس[7]، وكذلك في عدة

---

(١) سبط ابن الجوزي. **مرآة الزمان**، ج٨، ص٧٠٠، ٧٠١. ابن العماد. **شذرات الذهب**، ج٥، ص١٦٥، ١٦٦.

(٢) هو أبو الفتح نصر بن فِتْيان المعروف بابن المَنِّيِّ، فقيه العراق وشيخ الحنابلة فيها. توفي في بغداد عام ٥٨٣هـ/١١٨٧م. الذهبي. **العبر**، ج٣، ص٨٧.

(٣) أنشأت تلك المدرسة لتدريس المذهب الحنبلي، ربيعة خاتون ابنة عم نجم الدين أيوب المتوفاة عام ٦٤٣هـ/١٢٤٥م. النعيمي. **الدارس في تاريخ المدارس**، ج٣، ص٢٤٥.

(٤) ابن خلكان. **وفيات الأعيان**، ج٢، ص٤٠٨، ٤١٠. اليافعي. **مرآة الجنان**، ج٤، ص١٠٨، ١١٠. السبكي. **طبقات الشافعية**، ج٥، ص١٣٧.

(٥) هو أبو حفص المعروف بابن طبرزد، من أشهر علماء الحديث في بغداد، سافر آخر عمره إلى الشام، قام بتدريس الحديث في إِرْبِل والموصل وحران وحلب ودمشق، وعاد إلى بغداد فتوفي بها عام ٦٠٧هـ/١٢١٠م. أبو شامة. **ذيل الروضتين**، ص٧٠. الذهبي: **العبر**، ج٣، ص١٤٦.

(٦) هو عبد الوهاب بن عبيد الله المعروف بضياء الدين بن سكينة مسند العراق ومحدثه. برز في علم الحديث وتوفي في بغداد عام ٦٠٧هـ/١٢١٠. السبكي. **طبقات الشافعية**، ج٣، ص١٤٥، ١٤٦.

(٧) وقف السلطان صلاح الدين الأيوبي تلك المدرسة عام ٥٨٣هـ/١١٨١م في مدينة القدس على فقهاء الشافعية. النعيمي. **الدارس في تاريخ المدارس**، ج١، ص٣٣١، ٣٣٣.

مدارس أخرى بدمشق كالمدرسة الرواحية[1] والشامية الجوانية، ومشيخة دار الحديث الأشرفية[2] إلى أن توفي عام ٦٤٣هـ/١٢٤٥م .

ومن العلماء المشهورين الشيخ أحمد بن يوسف الأنصاري[3] الذي برع في علم الفقه على المذهب الحنفي، ودعي إلى بغداد لتدريس المذهب الحنفي بالمدرسة المستنصرية، ثم عاد إلى حلب فتولى مهمة التدريس فيها حتى وفاته عام ٦٤٩هـ/١٢٥١م .

ومن أشهر العلماء الوافدين إلى العراق الشيخ عز الدين بن عبد السلام[4] الذي لقب بسلطان العلماء ؛ لأنه كان يجمع بين فنون العلم المختلفة من الحديث والفقه والتفسير، وبلغ مرتبة الاجتهاد في الإفتاء، فأقبل عليه طلبة العلم من جميع أنحاء البلاد الإسلامية، وظل الشيخ بها فترة قصيرة من الزمن، عاد بعدها إلى دمشق فتولى الخطابة في الجامع الأموي، ثم توجه الشيخ عز الدين إلى مصر عام ٦٣٨هـ/١٢٤٠م، حيث فوض إليه منصب قاضي القضاة بها . واستمر الشيخ عز الدين يزاول نشاطه العلمي حتى وفاته في مصر عام ٦٦٠هـ/١٢٦٠م . ومن المعروف أن الشيخ عز الدين بن عبد السلام قام بدور كبير في الدعوة بين المسلمين للجهاد وحثهم على قتال الصليبيين، عن طريق الوعظ والخطب الدينية التي كان يلقيها في المساجد أو في جبهات القتال، كما حظي الشيخ عز الدين بن عبد السلام بمنزلة كبيرة عند سلاطين بني أيوب والخلفاء العباسيين، ويذكر لنا ابن واصل وغيره من المؤرخين أن الشيخ عز الدين بن عبد السلام لما أفتى

---

(١) أقام تلك المدرسة ذكي الدين أبو القاسم المعروف بابن رواحة، أحد التجار الأثرياء، المتوفى عام ٦٢٣هـ/١٢٢٥م، ووقفها على فقهاء الشافعية . النعيمي . **الدارس في تاريخ المدارس**، د١، ص٢٦٥، ٢٦٧ .

(٢) كانت هذه الدار للأمير صارم الدين قايماز النجمي فاشتراها الملك الأشرف موسى، وجعل منها داراً لتدريس الحديث الشريف . النعيمي . المصدر السابق، ج١، ص١٩ .

(٣) العيني، بدر الدين محمود (ت ٨٥٥هـ/١٤٥١م) . **عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان** ؛ تحقيق محمد أمين ٠- القاهرة : الهيئة المصرية للكتاب، ١٤١٢هـ، حوادث عام ٦٤٩هـ .

(٤) السبكي . **طبقات الشافعية**، ج٥، ص٨٠، ٨١ . الفاسي، أبو الطيب محمد بن أحمد بن علي المكي الحسني تقي الدين (ت٨٣٢هـ/١٤٢٩) . **تاريخ علماء بغداد المسمى المنتخب المختار**، ص١٠٥، ١٠٦ . ابن العماد . **شذرات الذهب**، ج٥، ص٣٠١، ٣٠٢ .

بعزل الصاحب معين الدين ابن شيخ الشيوخ وزير الملك الصالح نجم الدين أيوب من الوزارة لأمور أخذها عليه، قبل السلطان الصالح أيوب هذا الحكم الصادر من الشيخ عز الدين بن عبد السلام في حق وزيره معين الدين[1] .

كما أن الخليفة العباسي المستعصم بالله رفض في الوقت نفسه قول ما جاء في الرسالة التي حملها رسول معين الدين إلى بغداد، وأجاب الخليفة الرسول بقوله : « إن معين الدين أسقطه الشيخ عز الدين من الحكم، فلا يرجع إلى مشافهته»[2] .

كذلك كان للعلماء الحنابلة من أهل الشام الذين قدموا إلى بغداد أثر كبير في الاهتمام بعلم الحديث والفقه وتدريسهما في كل من دمشق وبغداد والقاهرة، ومنهم الحافظ عبد الغني[3] وعمه أبو محمد بعد الله الملقب بالموفق[4]، وأخوه إبراهيم بن عبد الواحد المعروف بالعماد الحنبلي[5]، وابن أخيه شمس الدين أبو بكر بن العماد[6]، وقد قدمت هذه الأسرة الحنبلية من جماعيلي[7] إلى دمشق، واتجه أفرادها إلى دراسة العلوم الدينية واللغوية، فطلب عبد الغني دراسة الحديث ورحل من أجله إلى كل من مصر ودمشق والموصل وأصبهان وخراسان وغير ذلك من البلاد الإسلامية، إلى أن قدم إلى بغداد فاشتغل بعلم الحديث على علمائها المشهورين كابن الجوزي

---

(١) المقريزي (ت ٨٣٢هـ/١٤٢٩) . **السلوك لمعرفة دول الملوك** ؛ تحقيق محمد عبد القادر عطار -ط١- دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، ج٢، ص١٩٧ .

(٢) ابن واصل . **مفرج الكروب**، ج٢، ص٦٨ . النويري، شهاب الدين أحمد (٧٣٢هـ/١٣٣١م) . **نهاية الأرب في معرفة فنون الأدب** -ط١- القاهرة، ١٣٤٢هـ/١٩٢٣م، ج٢، ص١٣٥ . السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (ت ٩١١هـ/١٥٠٥م) . **حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة** - القاهرة، ١٣٢٧هـ، ج٢، ص١٦٢.

(٣) سبط ابن الجوزي . **مرآة الزمان**، ج٨، ص٥١٩، ٥٢١ . أبو شامة . **ذيل الروضتين**، ص٤٦، ٤٧ . ابن كثير . **البداية والنهاية**، ج١٣، ص٣٨، ٣٩ .

(٤) سبط ابن الجوزي . **مرآة الزمان**، ج٨، ص٦٢٧، ٦٢٨ . أبو شامة . **ذيل الروضتين**، ص١٤٠، ٤٢٠ . ابن شاكر الكتبي. **فوات الوفيات**، ج١، ص٤٣٣، ٤٣٤ .

(٥) سبط ابن الجوزي : **مرآة الزمان**، ج٨، ص٥٨٦، ٥٨٧ . أبو شامة . **ذيل الروضتين**، ص١٠٠، ١٠٤ . الذهبي. **العبر**، ج٣، ص١٢٩، ١٦٢ .

(٦) ابن العماد . **شذرات الذهب**، ج٥، ص٣٥٣، ٣٥٤ .

(٧) **جماعيلي** : بالفتح وتشديد الميم، وهي قرية في جبل نابلس من أراضي فلسطين . الحموي . **معجم البلدان**، ج٢، ص١١٣.

وابـن المنَّـيِّ، وبذلك أثرت رحلتـه التي لقي فيها كثـيراً من علماء الحديـث المشهورين علـى مكانته العلميـة، فأصبح من أشهر أئمة علماء الحديـث وحفظته في عصره، حتى لقـب بالحافـظ . وبعد أن حدث ببغداد عاد إلى دمشق، فقرأ الحديث وأسمعه بالجامع الأمـوي بـرواق الحنابلة، غـير أنه غادر دمشـق إلى مصر فحدث بها حتـى وفاته عام ٦٠٠هـ/١٢٠٣م(١).

وأما الموفق والعماد الحنبلي وشمس الدين أبو بكر فقد جمعوا بين عدة علوم مختلفة كالحديث والفقه واللغة والنحو، وذهبوا جميعاً إلى بغداد، وتفقهوا على علمائها كابن الجوزي وابن المني وعبد القادر الجيلي وغيرهم . وبعد ذلك عادوا إلى دمشق، فتولى كل من الموفق والعماد الحنبلي التدريس في الجامع الأموي برواق الحنابلة إلى أن توفي العماد عام ٦١٤هـ/١٢١٧م والموفق عام ٦٢٠هـ/١٢٢٣م(٢) .

أما شمس الدين فقد انتقل إلى مصر، فتولى بها مشيخة خانقاه سعيد السعداء(٣)، وكذلك التدريس بالمدرسة الصالحية (٤) حتى وفاته عام ٦٧٦هـ/١٢٧٧م .

(١) الذهبي (ت ٧٤٨هـ/١٣٤٨م) . **تذكرة الحفاظ**؛ دراسة وتحقيق زكريا عميرات -ط١- بيروت : دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، ج٤، ص٢٠٦، ٢٠٧ .

(٢) الذهبي . **العبر**، ج٣، ص١٨٠، ١٨١.

(٣) **خانقاه سعيد السعداء**: أول خانقاه أنشئت في مصر وهي التي ينقطع فيها الشيخ للعبادة فترة غير قصيرة، ووقفها كان من الملوك الصالحين، ووقف وقفها بإذن النبي ﷺ تقع هذه الخانقاه بخط رحبة باب العبد من القاهرة كما يقول المقريزي: حي الجمالية الآن وكانت أول دار تعرف في عصر الدولة الفاطمية بدار سعيد السعداء، وهو كما يقول ابن ميسر : (بيان) ولقبه سعيد السعداء أحد الأستاذين المحنكين خدام قصر الخليفة المستنصر بالله الفاطمي . كانت هذه الدار مقابل دار الوزارة فلما تولى الصالح طلائع الوزارة سكنها وفتح من دار الوزارة إليها سرداباً تحت الأرض ليمر فيها . فلما استولى صلاح الدين الأيوبي على مصر وقف هذه الدار على الفقراء الصوفية الوافدين من البلاد النائية وذلك في سنة ٥٦٩هـ وولى عليهم شيخاً ووقف عليهم كثيراً من الأوقاف من عقارية بالقاهرة وزراعية بالبهنسا بالمنيا الآن وقد جاء في شرط الوقفية أن من مات من الصوفية وترك عشرين ديناراً فما دونها كانت للفقراء ولا يتعرض لها الديوان السلطاني، ومن أراد منهم السفر يعطى تسفيره ورتب للصوفية في كل يوم طعاماً ولحماً وخبزاً وبنى لهم حماماً بجوارهم، وهنا يقول المقريزي : فكانت أول خانقاه عملت بديار مصر وعرفت باسم (دويرة) الصوفية ونعت شيخها بشيخ الشيوخ . المقريزي.**الخطط**، ج٢، ص٤٢٤ . ابن تغري بردي . **النجوم الزاهرة**، ج٦، ص٣١٨، ٣١٩ .

(٤) هذه المدرسة بناها الملك الصالح نجم الدين أيوب عام ٦٤١هـ/١٢٤٣م لتدريس المذاهب الأربعة كالمدرسة المستنصرية في بغداد . الذهبي : **العبر**، ج٣، ص٣٣٣ . المقريزي. **الخطط**، ج٢، ص٣٧٤ . السيوطي . **حسن المحاضرة**، ج٢، ص٢٦٣.

أشهر علماء مصر وبلاد المغرب والأندلس :

ومن ناحية أخرى فإن علماء وشيوخ الديار المصرية في القاهرة والإسكندرية ودمياط والصعيد، اهتموا بدراسة الحديث والفقه شأن إخوانهم علماء الشام والعراق، وذهب معظمهم إلى بغداد ودمشق وحلب ليتفقهوا ويسمعوا الحديث على علماء تلك البلاد. وكان لهم دورهم البارز في الحركة الثقافية ليس في مصر فقط وإنما في بلاد الشام والعراق أيضاً. ومن هؤلاء العلماء المصريين أبو إسحاق إبراهيم بن منصور الفقيه الشافعي[(١)] الذي ذهب إلى بغداد وتفقه على علمائها وحدّث بها زمناً طويلاً حتى سمي بالعراقي الخطيب، ثم غادر بغداد إلى مصر وتولى الخطابة في بعض مساجدها حتى وفاته عام ٥٩٦هـ/١١٩٩م، وغادر عبد المنعم بن عبد العزيز المعروف بابن النطروني[(٢)] مدينة الإسكندرية إلى بغداد حيث تفقه بها إلى أن عين شيخاً برباط العميد في بغداد حتى وفاته عام ٦٠٣هـ/١٢٠٦م . ورحل الشيخ أبو طاهر إسماعيل المعروف بابن الأنماطي[(٣)] في طلب الحديث إلى دمشق وبغداد، حيث تفقه ولازم العلماء فيهما كالتاج الكندي وابن طبرزد وابن سكينة، ثم عاد إلى دمشق فتوفي بها عام ٦١٨هـ/١٢٢١م . وقدم الشيخ عبد السلام بن منصور الدمياطي[(٤)] من الديار المصرية وتفقه بالمدرسة النظامية، حيث سمع الحديث من أساتذتها، وبعد ذلك رجع إلى دمياط ومنها إلى القاهرة فتوفى بها عام ٦١٩هـ/١٢٢٢م. أما عبد الله بن عبد الرحمن بن عمر الإسكندري[(٥)]، فقد قدم إلى بغداد عام ٦٣٣هـ/١٢٣٥م وبصحبته أهله وأصحابه من الفقهاء المالكية فاختير معيداً بالمدرسة المستنصرية لتدريس الفقه المالكي، فدّرس بالمدرسة المستنصرية اثني عشر درساً . ومن علماء الصعيد الذين ذهبوا إلى بغداد وتفقهوا على علمائها كل من الشيخ إسماعيل بن محمد الأسواني المتوفى بالقاهرة عام ٥٩٩هـ/١٢٠٢م،

---

(١) أبو إسحاق العراقي العلامة إبراهيم بن منصور المصري، الخطيب شيخ الشافعية بمصر. **شرح كتاب المهذب**، ولقب بالعراقي لاشتغاله ببغداد . المنذري . **التكملة لوفيات النقلة**، ج٢، رقم ٥٣٢ . الذهبي . **العبر**، ج٣، ص١١٤ .

(٢) ابن شاكر . **فوات الوفيات**، ج٢، ص٣٣ .

(٣) أبو شامة . **ذيل الروضتين**، ص١٣١ .

(٤) السبكي . **طبقات الشافعية الكبرى**، ج٥، ص٧٤ .

(٥) ابن الفوطي . **الحوادث الجامعة**، ص١١٠ .

وهمام بن راجي المعروف بأبي الغنائم المتوفى بالقاهرة عام ٦٣٠هـ/١٢٣٢م، والشيخ أبو الفتوح الحنفي المعروف بابن بصاقة المتوفى في دمشق عام ٦٥٠هـ/١٢٥٢م، وشهاب الدين إسماعيل بن حامد المتوفى في دمشق عام ٦٥٣هـ/١٢٥٥م وغيرهم[١]، أما علماء الأندلس والمغرب فلم يكونوا أقل اهتماماً من إخوانهم علماء المشرق بالعلوم الدينية واللغوية والعمل على تحصيلها وتدريسها، ولهذا رحل معظمهم إلى مصر والشام والعراق للاجتماع هناك بأئمة الحديث وعلماء الفقه واللغة وهم بذلك قد شكلوا رباطاً ثقافياً بين بغداد من ناحية، ودمشق والقاهرة من ناحية أخرى، يتضح ذلك من الجهد العلمي الكبير الذي قام به علماء الأندلس في تلك المدن، وما كان له من آثار في تدعيم الصلات العلمية بين مصر والشام وبغداد في ذلك الدور . ومن أهم هؤلاء العلماء وأشهرهم أبو الخطاب عمر بن الحسن المعروف بابن دحية[٢]، الذي رحل من الأندلس في طلب الحديث إلى كل من مصر والشام وبغداد وخراسان، وكثيراً ما تردد في دمشق على العالم اللغوي والمحدث المشهور تاج الدين الكندي، غير أن السلطان الكامل الأيوبي استدعاه إلى القاهرة ليكون شيخاً بدار الحديث الكاملية[٣] . فبقي ابن دحية يدرس الحديث والفقه في تلك الدار حتى وفاته في مصر عام ٦٣٣هـ/١٢٣٥م . ويذكر اليونيني[٤] وغيره أن أبا عبد الله بن أبي الفضل الأديب النحوي خرج من المغرب إلى مصر عام ٦٠٧هـ/١٢١٠م ثم توجه إلى مكة وبغداد فتفقه بالمدرسة النظامية، ودرس بها أصول الفقه واللغة، ثم سار ابن أبي الفضل في طلب الحديث إلى خراسان ونيسابور ومرو وهراة، وعاد بعد ذلك إلى بغداد ومكة وحلب ودمشق ليسمع الحديث

(١) الأُدْفُودِيّ ، أبو الفضل كمال الدين جعفر بن تغلب (ت٧٤٨هـ/١٣٤٨م) . **الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد**؛ تحقيق أسعد محمد حسن ٠- القاهرة، ١٩٦٦م، ص١٦٥، ٢٩٠، ٤٣٦، ٤٣٧، ٦٧٦، ٦٨٠ . النويري . **نهاية الأرب**، ج٢٧، ص١٢٠٥ . السبكي . **طبقات الشافعية**، ج٥، ص١٦٤ .

(٢) ابن خلكان . **وفيات الأعيان**، ج٣، ص١٢١، ١٢٢ . الذهبي. **العبر**، ج٣، ص٢١٧ . ابن كثير . **البداية والنهاية**، ج١٣، ص١٤٤، ١٤٥ .

(٣) أنشأها الملك الكامل عام ٦٢١هـ/١٢٢٤م ووقفها على المشتغلين بدراسة علم الحديث، وبنى قبله نور الدين دار الحديث في دمشق . السيوطي . **حُسن المحاضرة**، ج٢، ص٢٦٢ .

(٤) الحموي . **إرشاد الأريب**، ج١، ص١٦، ١٨ . اليونيني . **ذيل مرآة الزمان**، ج١، ص٧٦، ٧٧ . الصفدي، صلاح الدين ابن أيبك (ت ٧٦٤هـ/١٣٦٣م) . **الوافي بالوفيات** ؛ تحقيق ر.س ريدر بينغ ٠- ط٢، ص١٣٩٤هـ/١٩٧٤م، ج٣، ص٣٥٤، ٣٥٥ .

ويقرأه على الطلبة في تلك البلاد، غير أنه رجع إلى مصر مرة أخرى عام ٦٢٤هـ/١٢٢٦م فقضى بقية حياته العلمية فيها حتى وفاته عام ٦٥٥هـ/١٢٥٧م[١] .

ومن أشهر العلماء الأندلسيين الذين شكلوا رباطاً ثقافياً بين بغداد ودمشق والقاهرة، أبو عبد الله محمد الأنصاري المعروف بابن اليتيم[٢]، والزكي البرزالي الإشبيلي اللذان اشتغلا بعلم الحديث ورحلا من أجله إلى الإسكندرية ودمشق وحلب والموصل وبغداد ومرو وخراسان؛ غير أنهما عادا مرة أخرى إلى بلاد الشام، فأخذا يدرسان بها علم الحديث إلى أن توفي ابن اليتيم في دمشق عام ٦٢١هـ/ ١٢٢٤م والزكي البرزالي في حماة عام ٦٣٦هـ/ ١٢٣٨م[٣] .

يضاف إلى ذلك أن رسل وسفراء الخلافة العباسية وسلاطين بني أيوب الذين تنقلوا في مهمات رسمية بين مصر والشام وبغداد، لم يقتصر دورهم على الناحية السياسية في ذلك الدور، بل كانت لهم مشاركتهم في الحياة الثقافية، فقد كان كل رسول من هؤلاء عالماً وفقيهاً كبيراً قبل أن يكون سياسياً وسفيراً ماهراً، ولذلك عمد أغلب هؤلاء الرسل، بعد قضاء مهمتهم الرسمية مع الخليفة العباسي أو السلطان الأيوبي، إلى الاتصال بزملائهم من العلماء والفقهاء فيتناظرون معهم في مختلف العلوم الفقهية واللغوية، أو الذهاب إلى المدارس والجوامع لإلقاء بعض دروس الحديث والفقه والتفسير على الطلبة الدارسين، على أن تلك المجالس والندوات العلمية والأدبية، لم تكن تخلو في بعض الأحيان من مشاركة بعض الخلفاء العباسيين وبعض ملوك بني أيوب .

ومن أشهر سفراء الخلافة العباسية الذين شغلوا مهمة التدريس والوعظ في بلاد الشام ومصر، محيى الدين بن عبد الرحمن الجوزي، ونجم الدين البادرائي، فبالإضافة إلى اشتغالهما بالسفارة، فإن كل واحد منهما كان أستاذاً عالماً فقيهاً؛ إذ ألقى ابن الجوزي

(١) الذهبي . **العبر**، ج٣، ص٢٧٧ .

(٢) ابن اليتيم أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد الأنصاري. ولد عام ٥٤٤هـ/١١٥٠م، خطيب المرية. رحل في طلب الحديث، وتوفي عام ٦٢١هـ . الذهبي . **العبر**، ج٣، ص١٨٤ .

(٣) أبو شامة . **ذيل الروضتين**، ص١٦٨ . الذهبي . **العبر**، ج٣، ص١٨٤، ١٨٥ – الصفدي . **الوافي بالوفيات**، ج٢، ص١١٦. ابن العماد . **شذرات الذهب**، ج٥، ص١٨١ .

بالمدرسة المستنصرية دروساً في الفقه الحنبلي عام ٦٣٢هـ/١٢٣٤م، واشتغل البادرائي مدرساً للحديث والفقه في المدرسة النظامية عام ٦٣٩هـ/١٢٤٢م . ونظراً لكثرة ترددهما إلى دمشق وحلب والقاهرة ؛ فإنهما كثيراً ما حدثا بتلك البلاد ودرسا بمدارسها خاصة في مدينة دمشق(١) ولم يكتفيا بذلك ؛ فقد شيدا مدرستين بدمشق على نفقتهما الخاصة عرفت الأولى باسم المدرسة الجوزية(٢)، والثانية باسم المدرسة البادرائية(٣) .

واشتهر شهاب الدين السهروردي(٤) بالوعظ وتدريس الحديث، وكثيراً ما كانت تقام له حلقات وندوات علمية في البلاد التي تنقل إليها كدمشق وحلب والقاهرة، فيقرأ الحديث ويسمعه على الحاضرين فيها . وكان ممن يحضر مجالسه العلمية والدينية في جامع حلب الملك الظاهر غازي(٥)، مصطحباً معه كبار الأمراء الفقهاء كالقاضي بهاء الدين بن شداد وغيره . كما أن السهروردي اجتمع في مصر بفقهائها ورجال الصوفية، من أمثال الشيخ عز الدين بن عبد السلام، والشاعر الصوفي ابن الفارض المتوفى عام ٦٣٠هـ/١٢٣٢م . ولم تكن تلك اللقاءات بينهما تخلو من المناظرات والمساجلات الأدبية حتى إن السهروردي ألبس كلاً منهما خرقة التصوف في أحد هذه اللقاءات(٦) . ولما قام الخليفة العباسي

---

(١) أبو شامة . **ذيل الروضتين**، ص١٩٨ . اليونيني . **ذيل مرآة الزمان**، ج١، ص٧١، ٧٣، ٣٣٢، ٣٣٨، ٣٤٠ . ابن كثير . **الحوادث الجامعة**، ص١٧٧، ٣٥٢ .

(٢) عُرفت بهذا الاسم نسبة إلى مؤسسها محيى الدين ابن الجوزي الذي قام بتأسيسها بدمشق في عهد الملك الصالح إسماعيل ووقفها على فقهاء الحنابلة، وكان ابن الجوزي أول من تولى التدريس بها . النعيمي . **الدارس في تاريخ المدارس**، ج٢، ص٢٩، ٣٢ .

(٣) كانت هذه المدرسة داراً لأسامة الجيلي، أحد كبار الأمراء في دمشق، اعتقله الملك العادل الكبير في الكرك عام ٦٠٩هـ/١٢١٢م، واستولى على أملاكه، فاشترى الشيخ نجم الدين البادرائي تلك الدار من ماله الخاص وعمرها مدرسة على المذهب الشافعي، ثم عمل بها خزانة كتب، وكان البادرائي أول من درس بها حيث حضر درسه الملك الناصر داود وسائر أرباب ووجهاء الدولة والعلماء . النعيمي . **الدارس في تاريخ المدارس**، ج١، ص٢٠٥، ٢٠٧ .

(٤) شهاب الدين السهروردي أبو حفص وأبو عبد الله عمر بن محمد شيخ العارفين. ولد سنة ٥٣٩هـ بسهرورد، وتفقه وصنف الكثير من التصانيف . تولى مشيخة العراق، توفي سنة ٦٣٢هـ . الذهبي . **العبر**، ج٣، ص٢١٣.

(٥) الملك الظاهر غازي صاحب حلب. والد السلطان صلاح الدين الأيوبي. ولد بمصر عام ٥٦٨هـ، وكان صاحب رأي ودهاء ومصادقة لملوك النواحي فيوهمهم أنه لولا هو لقصدهم عمه العادل، ويوهم عمه لولا هو لقصده الملوك وشاقوه، وكان سمحاً جواداً. توفي عام ٦١٣هـ . الذهبي . **العبر**، ج٣، ص١٦٠ .

(٦) ابن واصل . **مفرج الكروب**، ج٣، ص٢٢٨، ٢٣٢، ٢٣٣، ج٤، ص١٦٥، ١٦٦ .

الناصر لدين الله بجمع وتأليف مجموعة من الأحاديث الدينية المشهورة في كتاب أطلق عليه اسم (روح العارفين)، رغب الخليفة في الوقت نفسه أن يقرأ كتابه في بلاد الشام ومصر وغيرهما من البلاد الإسلامية الأخرى، فبعثه مع رسوله السهروردي إلى بلاد الشام ومصر عام ٦١٢هـ/١٢١٥م، فأخذ السهروردي يقرأ ما جاء في ذلك الكتاب في مساجد دمشق وحلب والقاهرة، بحضور كبار الأمراء ورجال الدولة الأيوبية[١]. كما أن الخليفة الناصر أرسل نسخة من كتابه المذكور بصورة خاصة إلى الملك الأشرف موسى[٢].

أما سفراء ملوك بني أيوب إلى الخلافة العباسية، فقد قاموا بدور مشابه لإخوانهم العراقيين، فهذا ضياء الدين السهروردي والقاضي بهاء الدين بن شداد رسولاً صلاح الدين الأيوبي إلى كل من الخليفة العباسي المستضيء والناصر لدين الله كثيراً ما كانا يلقيان دروس الحديث والفقه على الطلبة في أثناء وجودهما في بغداد، ومن المعروف أنهما تخرجا في المدرسة النظامية، ولذلك كانا يحرصان في كل مرة على الاجتماع بعلمائها وفقهائها، وبلغا منزلة كبيرة عند الخليفة الناصر، حتى إنه أمر بتعيين السهروردي قاضياً للقضاة، ليس في بغداد فحسب وإنما في بلاد الشام أيضاً[٣]. وذكر الذهبي وغيره أن القاضي كمال الدين عمر بن العديم[٤] رسول الملك الناصر يوسف إلى الخليفة العباسي المستعصم قد تفقه على علماء بغداد كابن طبرزد وتاج الدين الكندي وغيرهما. كما أن ابن العديم أهدى الخليفة المستعصم في سفارته الأولى لبغداد ثلاثمئة مجلدٍ مخطوطٍ في مختلف العلوم الدينية والفقهية، ومما اشتهر للكمال المعروف بابن العديم كتابان: كتاب (بغية الطلب في تاريخ حلب) وهو كتاب مطول موسع حقق ما بقي منه في ثلاثة عشر مجلداً سهيل زكار وهو لطوله وسعته انبثق عنه أكثر من كتاب، منها ما استخلصه ابن العديم

---

(١) اليافعي. **مرآة الجنان**، ج٤، ص٧٨. ابن كثير. **البداية والنهاية**، ج١٣، ص١٣٨.

(٢) أبو شامة. **ذيل الروضتين**، ص٩٣. الأربلي. **خلاصة الذهب المسبوك**، ص٢٨١.

(٣) أبو شامة. **ذيل الروضتين**، ص٣٦. ابن الساعي. **الجامع المختصر**، ج٩، ص١٠٢، ١٠٣. السبكي. **طبقات الشافعية**، ج٤، ص٢٩٨، ج٥، ١٥١، ١٢٥.

(٤) كمال الدين أبو القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله بن جرادة العقيلي الحلبي. تفقه على يد ابن طبرزد، والكندي بدمشق، كان صاحب رأي وفضل وحزم وكتابة وبلاغة. درس وأفتى وصنف وجمع تاريخ حلب نحو ثلاثين مجلداً. توفي سنة ٦٦٠هـ/١٢٦٠م. الذهبي. **العبر**، ج٣، ص٣٠٠.

ذاته وأخرجه في كتاب سماه : (زبدة الحلب في تاريخ حلب) ؛ حققه سامي الدهان وأصدره في ثلاثة أجزاء، ثم قام بتحقيقه ثانية سهيل زكار وصدر في جزأين عن دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع سنة ١٩٩٧م، واختصر (زبدة الحلب) الحنبلي المتوفى سنة ٩٧١هـ في كتاب صغير سماه (الزبد والضرب في مملكة حلب) وصدر ضمن منشورات مركز المخطوطات والتراث في الكويت سنة ١٩٨٨م بتحقيق الدكتور محمد التونجي . وكثيراً ما كان يلقي الحديث ويسمعه في كل من بغداد ودمشق وحلب والقدس(١) .

أما القاضي شهاب الدين بن أبي الدم رسول الملك المظفر تقي الدين أمير حماة إلى الخليفة المستنصر بالله، فقد ذهب إلى بغداد منذ طفولته ودرس بالمدرسة النظامية إلى أن برز في علمي الأدب والتاريخ، وخلع عليه الخليفة الناصر خلعاً كثيرة، تقديراً منه لكفايته العلمية(٢)، كما أن القاضي ابن أبي الدم حدث ببغداد وفي كثير من مدن الشام(٣)، وكان نجم الدين خليل رسول الملك العادل إلى الخليفة الناصر يستغل فرصة إقامته في بغداد، ليلتقي مع علماء وفقهاء المدرسة النظامية ويتناظر معهم في مختلف الشئون الدينية(٤)، وذكر بعض المؤرخين أن الملك الناصر داود حضر افتتاح المدرسة المستنصرية عام ٦٣١هـ/١٢٣٣م ؛ أثناء وجوده في بغداد، وسمع عدة دروس بها، كما أنه تناظر مع نفر من علمائها في مختلف العلوم وأساليب الشعر(٥) .

يتضح من تراجم العلماء والشيوخ السابقين أنهم اهتموا بصورة خاصة بدراسة وتدريس علم الحديث والتفسير والفقه واللغة العربية وآدابها ، بل إن دراسة علم الحديث وتدريسه كانت غاية العلماء من وراء رحلاتهم التي قاموا بها في كل من بغداد ودمشق وحلب والموصل والقاهرة وغيرها من البلاد الإسلامية تمشياً من طبيعة روح ذلك العصر ؛ لأن العلوم الدينية كانت هي الأصل والأساس دائماً . أما باقي العلوم الأخرى

(١) الذهبي . **العبر**، ج٣، ص٣٠٠ . ابن شاكر . **فوات الوفيات**، ج٢، ص٢٠٠، ٢٠١ . الخزرجي . **العسجد المسبوك**، حوادث عام ٦٤٨هـ .

(٢) ابن العماد . **شذرات الذهب**، ج٥، ص٢١٣ . ابن واصل . **مفرج الكروب**، ج٤، ص١٧٤ .

(٣) ابن واصل . **مفرج الكروب**، ج٤، ص١٧٤. ابن العماد . **شذرات الذهب**، ج٥، ص٢١٣ .

(٤) ابن الساعي . **الجامع المختصر**، ج٩، ص٣٨٣، ٣٨٤ .

(٥) اليونيني . **ذيل مرآة الزمان**، ج١، ص١٣٦، ١٣٧ . ابن الفوطي . **الحوادث الجامعة**، ص٨١، ٨٤ .

كالرياضيات والفلك والطب والفلسفة والمنطق، فلم يكن حظها من البحث والدراسة قليلاً، خاصة الفلسفة والمنطق حتى إن كل من بحث في تلك العلوم وتطرق في آرائه، كان يتهم في ذلك الوقت بفساد عقيدته، بل ويصل الأمر إلى نعته بالكفر والإلحاد[١] . ويعود السبب، كما سبق القول، إلى الرغبة المشتركة لدى الخلفاء العباسيين وسلاطين بني أيوب في القضاء على أصول المذهب الشيعي وتثبيت أركان المذهب السني، وتنقية العقيدة مما علق بها من أفكار شيعية تتعارض وتعاليم السنة[٢] .

وممن اشتغل بعلم الفلسفة والمنطق، بالإضافة إلى بعض العلوم الدينية، يحيى السهروردي، والسيف الآمدي . أما يحيى السهروردي فهو أبو الفتوح يحيى بن حبشي[٣] قدم من العراق إلى بلاد الشام عام ٥٧٩هـ/١١٨٣م، واستقر في مدينة حلب يدرس بمدارسها ويناظر علماءها في مختلف العلوم الدينية والفلسفة، فقربه صاحبها الملك الظاهر غازي وخصه بعنايته ؛ إلا أن فقهاء حلب لم يعجبهم حديث يحيى السهروردي، فأخذوا عليه مآخذ كثيرة حتى أفتوا جميعاً بقتله، وكتبوا بذلك محضراً إلى السلطان صلاح الدين الأيوبي، حيث حذروه من استمرار بقاء يحيى السهروردي في حلب، خشية أن يفسد عقيدة الناس بها، عندئذ أوعز صلاح الدين إلى ولده الظاهر غازي أن يأمر بقتله، فمات السهروردي مقتولاً في حلب عام ٥٨٧هـ/١١٩١م[٤] .

والسيف الآمدي هو أبو الحسن علي بن سالم التغلبي الملقب بسيف الدين[٥] كان في بداية أمره حنبلي المذهب ثم أصبح شافعياً مثل السهروردي . ذهب سيف الدين إلى

---

(١) من ذلك مثلاً الفتاوى التي كان يصدرها العلماء والفقهاء بين الحين والآخر ضد كل شخص يتطرف في دراسة علم الفلسفة والمنطق، خاصة تلك الفتوى المشهورة التي أصدرها ابن الصلاح الشهرزوري في دمشق حول ذلك الموضوع. السبكي . **طبقات الشافعية**، ج٤، ص١٢٩، ١٣١، ج٥، ص١٥٩، ١٦٢ . جولدتسيهر . **التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية** - القاهرة، ١٩٣٧م، ص١٢٩، ١٣١، ١٥٨، ١٦١، ١٦٣.

(٢) عبد الغني عبد العاطي . **التعليم في مصر زمن الأيوبيين والمماليك** - القاهرة : دار المعارف، ١٩٨٤م، ص٦٥، ٦٦ .

(٣) الحموي . **إرشاد الأريب**، ج٧، ص٢٦٩ . ابن أبي أصيبعة . **عيون الأنباء**، ج٣، ص٢٧٣، ٢٧٤ . ابن خلكان . **وفيات الأعيان**، ج٥، ص٣١٢، ٣١٧ . الذهبي . **العبر**، ج٣، ص٩٥، ٩٦ .

(٤) سبط ابن الجوزي . **مرآة الزمان**، ج٨، ص٤٢٧ . ابن خلكان . **وفيات الأعيان**، ج٣، ص٣٦١ .

(٥) القفطي، أبو الحسن جمال الدين علي بن يوسف (ت ٦٤٦هـ/١٢٤٨) . **تاريخ الحكماء**، ص٢٤٠، ٢٤١ . ابن خلكان . **وفيات الأعيان**، ج٣، ص٢٩٤ . السبكي. **طبقات الشافعية**، ج٥، ص١٢٩، ١٣٠ .

بغـداد وتفقه على نفـر من علمائها، ثم انتقـل إلى مصر ٥٩٢هـ/١١٩٥م، فأخذ يدرس علـم الحديث والفقه والفلسفة والمنطق في مدارسها خاصـة في المدرسة الناصرية . غير أن فقهـاء مصـر لم يَرُقْهـم أن يجـدوا بينهم فقيهاً يـزاول التدريس بالعلـوم الفلسفية، ففعلـوا معـه مثلما فعل إخوانهم فقهـاء حلب مع يحيى السهـروردي؛ إذ نسبوا إليه فساد العقيـدة واستباحـوا دمه . عند ذلك خـاف سيف الدين على حياتـه فترك البلاد وخرج إلى بـلاد الشام، فمكث فيهـا بقية حياته يعمل بالتدريس والتأليـف حيث عهد إليه الملك المعظـم عيسى بالتدريس في المدرسة العزيزية بدمشق ؛ إلا أن الملك الأشرف موسى عزل سيـف الدين ومنعه من التدريس في تلك المدرسة، ولم يكتب بهذا الإجراء، بل أعلن الملك الأشـرف أن كل من يذكر في التدريس غـير العلوم الدينية واللغوية سيكون مصيره النفي من البلاد. فلزم سيف الدين بيته ولم يخرج منه حتى وفاته عام ٦٣١هـ/١٢٢٣م[١] .

ولم تقتصر الصلات العلمية بين مصر والشام وبغداد على طلب العلوم الدينية واللغوية، وإنما كان للأدب دور آخر ونصيب ملحوظ في نمو وازدهار تلك العلاقة ؛ فقد شارك أدباء البلاد الإسلامية في حركة الجهاد الديني في ذلك الوقت، كل حسب مقدرته، سواء كانت المشاركة بالشعر أو النثر، وقد غلب شعراء الحماسة على شعراء تلك الفترة مواكَبةً لظروف الحروب بين المسلمين والصليبيين . فهذا شاعر الخلافة العباسية ابن التعاويذي[٢] لم يملك إلا أن يشارك المسلمين في مصر والشام فرحتهم بانتصارات صلاح الدين المستمرة على الصليبيين ؛ ولهذا قام بنظم بعض القصائد حول ذلك الموضوع . فمثلاً عندما انتصر صلاح الدين على الصليبيين في موقعة مرج عيون عام ٥٧٦هـ/١١٨٠م أرسل ابن التعاويذي من بغداد قصيدة حماسية إلى صلاح الدين، عبر فيها عن تقديره وإعجابه بشجاعته وكفايته في تحقيق ذلك الانتصار الكبير[٣] . كما أرسل ابن التعاويذي قصيدة

---

(١) الذهبي . **العبر**، ج١، ص١١٠ . ابن العماد . **شذرات الذهب**، ج٥، ص١٤٥ .

(٢) هو أبو الفتوح محمد بن عبيد الله التعاويذي، من أشهر شعراء العراق في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي. كان كاتباً بديوان المقاطعات في بغداد، كتب ديواناً في أربعة فصول قبل أن يفقد بصره عام ٥٧٩هـ/١١٨٣م، وتوفي في بغداد عام ٥٨٣هـ/١١٨٧م . الحموي . **إرشاد الأريب**، ج٧، ص٣١ . ابن خلكان . **وفيات الأعيان**، ج٤، ص٩٠، ٩٧ .

(٣) أبو شامة . **ذيل الروضتين**، ج٢، ص١٠، ١٣٨ . ابن شاهنشاه الأيوبي، تقي الدين محمود بن أحمد (ت ٧٧٣هـ/١٣٧١م): **مضمار الحقائق**، مخطوط بدار الكتب المصرية، تاريخ ١٢٤٦م، ص٢٠، ٢٣ .

أخرى إلى صلاح الدين عام ٥٨٠هـ/ ١١٨٤م، هنأه فيها بالخلع التي أرسلها إليه الخليفة العباسي الناصر[١] . ومن جانب آخر كانت هناك اتصالات ومراسلات مع صلاح الدين، حيث إنهما كانا على علاقات ودية منذ أن كان عماد الدين مقيماً في بغداد، وكثيراً ما تبادلا الرسائل السرية والقصائد الشعرية في مناسبات كثيرة[٢] . كما أن عماد الدين نفسه مدح الخليفة العباسي المستضيء بأمر الله بقصائد كثيرة عندما أعلن صلاح الدين عودة مصر إلى حظيرة الخلافة العباسية[٣] . وينبغي الإشارة هنا إلى الرسائل الديوانية الكثيرة التي كتبها العماد الأصفهاني والقاضي الفاضل وضياء الدين ابن الأثير وغيرهم، وعلى لسان صلاح الدين وخلفائه من سلاطين بني أيوب إلى الخلفاء العباسيين، ومع أن تلك الرسائل النثرية الديوانية كانت ذات طابع سياسي، إلا أن كل رسالة منها كانت قطعة أدبية رائعة، وأكثر الملك الناصر داود من كتابة القصائد الشعرية في مدح خلفاء بني العباس، كالخليفة المستنصر بالله وابنه المستعصم، وكان الناصر داود يهدف من وراء ذلك إلى تقربه من الخلافة العباسية، كي تساعده على تحقيق أهدافه السياسية[٤] .

يضاف إلى ذلك الاتصالات والمراسلات الأدبية بين الأدباء والشعراء في مصر والشام وبغداد، حيث تكررت رحلاتهم ما بين بغداد ودمشق والقاهرة، وذلك من أجل التقرب إلى الخلفاء العباسيين وسلاطين بني أيوب، ومن هؤلاء الأدباء أبو الفتح نصر بن منصور المعروف بالشاعر النميري الذي غادر وطنه بلاد الشام متجهاً إلى بغداد لكي يعالج بصره الذي فقده وهو في ريعان الشباب، وهناك اتصل ببلاط الخلافة العباسية، فأكثر من قول الشعر في مدح الخلفاء العباسيين ووزرائهم، وظل مقيماً في بغداد حتى وفاته عام ٥٨٨هـ/١١٩٢م[٥] ومن شعراء هذه الطبقة الشاعر علي بن نصر بن عقيل البغدادي

---

(١) ابن شاهنشاه الأيوبي . المصدر السابق ذكره، ص١٩٢، ١٩٧ .

(٢) الحموي . **إرشاد الأريب**، ج٧، ص٣١ . ابن خلكان . **وفيات الأعيان**، ج٤، ص٩٥، ٩٦ .

(٣) لم يقتصر عماد الدين الأصفهاني في قصائده الشعرية على مدح خلفاء بني العباس، وإنما كانت له قصائد أخرى مدح فيها بعض وزراء الخلافة العباسية . الأصفهاني : عماد الدين (٥٩٧هـ/١٢٠٠م). **خريدة القصر وجريدة العصر**، أرق العراقي، ص١٢، ١٦، ٣٦، ٣٧، ٦٤، ٧١، ٧٦، ١٦٧، ١٧٧ . أبو شامة . **ذيل الروضتين**، ج١، ص٥٠٣، ٥٠٤، ٥٤٨ .

(٤) اليونيني : **ذيل مرآة الزمان**، ج١، ص١٣٤، ١٣٥، ١٦٨، ١٧٠ . العمري . **غاية المرام**، ص١٦٠، ١٦٢.

(٥) سبط ابن الجوزي . **مرآة الزمان**، ج٨، ص٤٢١ . ابن العماد . **شذرات الذهب**، ج٤، ص٢٩٦ .

المعروف بالهمام، فقد قدم إلى بلاد الشام عام ٥٩٥هـ/١١٩٨م، وحظي عند الملك العادل الكبير، فأكثر من مدحه ومدح كذلك الملك الأمجد صاحب بعلبك، وتوفي الهمام في بلاد الشام عام ٥٩٦هـ/١١٩٩م[١] . وكان الشاعر أبو الفضل عبد المنعم بن عبد العزيز الإسكندراني عالماً فاضلاً وأديباً شاعراً، اتخذ من بغداد مكاناً لإقامته الدائمة حتى وفاته عام ٦٠٣هـ/١٢٠٦م، ولزم في خلال تلك المدة الخليفة الناصر ومدحه بقصائد شعرية، فأنعم عليه الخليفة بخلع كثيرة[٢] . وأما الأديب عبد المنعم بن مظفر الغساني الجلياني فكان حكيماً يمارس الطب بالإضافة إلى قول الشعر. غادر الجلياني بلاد الأندلس إلى بغداد واتصل بأعيانها وأدبائها، ثم ترك بغداد وقدم إلى دمشق، فأصبح من المقربين لدى السلطان صلاح الدين، وبقي في دمشق حتى وفاته عام ٦٠٣هـ/١٢٠٦م[٣] .

ومـن أشهر شعـراء العصر شرف الدين أبو المحاسن محمـد بن نصر الله بن مكارم ابن حسن الدمشقي المعروف بابن عنين، وقد تفوق ابن عنين على شعراء عصره، وبرز في شعر المدح والهجاء، وظل معظم حياته متنقلاً ما بين العراق ومصر ومكة واليمن والهند وخراسـان وغير ذلك من البلاد الإسلامية، وساعدته تلك الرحلة الطويلة على الاتصال بمعظم الأدباء والشعراء في تلك البلاد قبل وفاته في دمشق عام ٦٣٠هـ/١٢٣٢م[٤] .

الخاتمة :

وخلاصة القول : إن الصلات العلمية بين الأيوبيين في مصر والشام والخلافة العباسية في بغداد كانت مزدهرة ؛ بغض النظر عن طبيعة العلاقات السياسية التي كانت قائمة بين الطرفين، إلا أنها كما يبدو لم تكن تعارض أو تقاوم هذه الصلات وليس أدل على ذلك من أن جموع العلماء والفقهاء والأدباء والشعراء العراقيين والمصريين والشاميين، توافدوا في أعداد كبيرة على كل من القاهرة والإسكندرية ودمشق وحلب وبغداد، مما ساعد على زيادة نشاطهم وإنتاجهم العلمي والأدبي في مختلف العلوم الدينية واللغوية.

---

(١) سبط ابن الجوزي . **مرآة الزمان**، ج٨، ص٤٧٤ .

(٢) ابن الساعي . **الجامع المختصر**، ج٩، ص٢١٠ . ابن سعيد الأندلسي، علي بن محمد (ت٦٨٥هـ/١٢٨٦م). **الغصون اليانعة في محاسن شعراء المئة السابعة** ٠- القاهرة : دار المعارف، ص٨٩ .

(٣) الجِليّاني (بكسر الجيم وسكون اللام) وهو حصن كبير بالأندلس يشتهر بالفواكه. الحموي. **معجم البلدان**، ج٢، ص١٠٩.

(٤) الحموي . **إرشاد الأريب**، ج٧، ص١٢١. ابن خلكان . **وفيات الأعيان**، ج٤، ص١٠٦، ١١٠ . الذهبي . **العبر**، ج٣، ص٣٠٨.

كما كان هناك عصر إحياء السُنة من علماء وفقهاء مصر والشام وبغداد؛ وذلك بدراسة وتدريس علم الحديث والفقه والتفسير، خاصة علم الحديث، والاهتمام بأسانيده وحفظها التي كانت غاية العلماء في ذلك الوقت؛ مما جعلهم يقومون بكثير من الرحلات من أجل ذلك وأيضاً لم يكن هناك فصل بين العلوم الدينية والعلوم الأخرى، بل كانوا يهتمون بعلوم اللغة العربية التي تعد من الدرجة التالية للعلوم الدينية؛ ولهذا كان هناك تميز بين العلماء في علم من العلوم التي تؤدي إلى شهرتهم .

ومما يلفت النظر أن بغداد التي كانت غنية بعلمائها حتى أواخر القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي، بدأت منذ أواخر القرن السادس الهجري الثاني عشر الميلادي، تفقد تدريجياً زعامتها العلمية والأدبية، وانتقل ذلك النشاط العلمي والأدبي من بغداد إلى بلاد الشام ومصر، ويعود السبب في ذلك إلى عوامل كثيرة منها: ضعف نفوذ الخلافة العباسية السياسي، وما ترتب عليه من اضطراب الأمن وعدم الاستقرار في أحوال العراق الداخلية، وموقف الخلافة السلبي إلى حد ما من حركة الجهاد الديني ضد الصليبيين، وإخفاقها في رفع الحظر المغولي، يضاف إلى ذلك تشجيع سلاطين وملوك بني أيوب للعلم، وتوفير سبل الرعاية لهؤلاء العلماء والاهتمام بهم . كل ذلك يفسر إلى حدّ بعيد انتقال معظم العلماء والفقهاء العراقيين إلى بلاد الشام ومصر وتفضيلهم الإقامة الدائمة بهما، حيث وجدوا ضالتهم المنشودة من الرعاية والاستقرار، مما ساعدهم على البحث والتأليف والتدريس في مختلف العلوم والفنون.

وعلى هذا الأساس يمكن القول : إن العلماء والفقهاء من أهل العراق، بالتعاون مع إخوانهم علماء الشام ومصر، لهم فضل سابق وأثر كبير في نضج وازدهار الحركة العلمية والثقافية في بلاد الشام ومصر في عصر سلاطين الأيوبيين، يضاف إلى ذلك أن سقوط الخلافة العباسية في بغداد كان من أهم أسباب تسنم مصر والشام مركز الصدارة العلمية والأدبية في العالم الإسلامي لتصبحا المكان الطبيعي الذي يقصده العلماء والأدباء من مختلف البلاد الإسلامية في أواخر العصور الوسطى .

المصادر والمراجع

المصادر المخطوطة :

- الحنبلي، ضياء الدين إبراهيم بن محمد (ت ٨٥٠هـ/١٤١٦م) . **شفاء القلوب**، مخطوط دار الكتب المصرية، تاريخ ٦٥٤٨، رقم ٥٢٧٥ .
- ابن شاهنشاه الأيوبي، تقي الدين محمود بن أحمد (ت ٧٧٣هـ/١٣٧١م) . **مضمار الحقائق**، مخطوط بدار الكتب المصرية، تاريخ ٢٢٤٦٦م .
- العمري (ت ٨٦٤هـ/١٤٥٩م). **غاية المرام**، مخطوط دار الكتب المصرية، تاريخ ١٩٤٧٣.

المصادر المطبوعة :

- ابن الأثير، عز الدين علي بن محمد بن عبد الكريم (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م). **الكامل في التاريخ**.- القاهرة، ١٣٥٧هـ/١٩٣٨م .
- الأُدفُودي، أبو الفضل كمال الدين جعفر بن تغلب (ت ٧٤٨هـ/١٣٤٧م). **الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد** ؛ تحقيق أسعد محمد حسن .- القاهرة، ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م .
- الإرّبلي، عبد الرحمن بن إبراهيم سنبط فينو (ت ٧١٧هـ/١٣١٧م). **خلاصة الذهب المسبوك مختصر من سيرة الملوك**؛ تصحيح مكي السيد جاسم.
- الأصفهاني، عماد الدين (٥٩٧هـ/١٢٠٠م). **خريدة القصر وجريدة العصر، ارق العراقي** .
- ابن أبي أصيبعة، أحمد بن القاسم بن خليفة (ت ٦٦٨هـ/١٢٨٩م). **عيون الأنباء في طبقات الأطباء** ؛ تحقيق نزار أحمد رضا .- بيروت، ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م.
- البغدادي، موفق الدين أبو محمد عبد اللطيف بن يوسف (ت ٦٢٩هـ/١٢٣١م). **الإفادة والاعتبار**.- القاهرة، ١٣٤٧هـ/١٩٢٨م .
- ابن تغري بردي، أبو المحاسن جمال الدين يوسف (ت ٨٧٤هـ/١٤٦٩م). **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة** .- القاهرة : دار الكتب، ١٣٤٨هـ/١٩٢٩م .

- ابن جبير، أبو الحسن محمد بن أحمد الكناني الأندلسي، (ت ٦١٤هـ/١٢١٧م). **الرحلة**؛ تحقيق حسين نصار ·- القاهرة، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.
- ابن الجوزي، شمس الدين أبو المظفر يوسف قزاوغلي (ت ٦٨٤هـ/١٢٨٥م). **مرآة الزمان في تاريخ الأعيان**؛ تحقيق مسفر سالم الغامدي ·- مكة المكرمة: معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م .
- الحموي، ياقوت بن عبد الله (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م). **إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب المعروف بمعجم الأدباء** ؛ تحقيق مرغوليوث - دافيد صمويل ·- ط١ ·- القاهرة، ١٣٤٦هـ/١٩٢١م . معجم البلدان·- بيروت : دار صادر، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م .
- ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد (ت ٦٨١هـ/١٢٨٢م). **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان** ؛ تحقيق محيى الدين بن عبد الحميد ·- القاهرة، ١٣٦٨هـ/١٩٤٨م .
- الخزرجي، أبو العباس إسماعيل بن العباس بن رسول الغساني (ت ٨٠٣هـ/١٤٠٠م). **العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك** ؛ تحقيق شاكر عبد المنعم ·- بغداد : دار البيان، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م .
- الذهبي، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ/١٣٤٧م). **العبر في خبر من غبر** ؛ تحقيق صلاح الدين المنجد ·- الكويت، ١٣٨١هـ/١٩٦١م . **تذكرة الحفاظ**؛ دراسة وتحقيق زكريا عميرات ·- ط١ ·- بيروت : دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م .
- ابن سعيد الأندلسي، علي بن محمد بن سعيد المغربي (ت ٦٨٥هـ/١٢٨٦م). **الغصون اليانعة في محاسن شعراء المئة السابعة** ·- القاهرة : دارة المعارف .
- السبكي، تاج الدين عبد الوهاب (ت ٧٧١هـ/١٣٦٩م). **طبقات الشافعية الكبرى**؛ تحقيق عبد الفتاح الحلو- ومحمد الطناجي·- القاهرة، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م .
- ابن الساعي، علي بن أنجب (ت ٨٧٧هـ/١٤٧٢م). **الجامع المختصر** ·- بغداد، ١٣٥٣هـ/١٩٣٤م.
- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (ت ٩١١هـ/١٥٠٥م). **حُسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة**·- القاهرة، ١٣٢٧هـ .
- الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت ٧٦٤هـ). **الوافي بالوفيات** ؛ تحقيق ر.س ريدر بينغ·- ط٢، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م .

- العيني، بدر الدين محمود (ت ٨٥٥هـ/١٤٥١م). **عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان**؛ تحقيق محمد أمين٠- القاهرة : الهيئة المصرية للكتاب، ١٤١٢هـ/١٩٩١م .
- ابن العماد، أبو الفلاح عبد الحي الحنبلي (ت ١٠٨٩هـ/١٦٧٨م). **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**؛ تحقيق لجنة التراث القومي ٠- بيروت : دار الأوقاف، د.ط .
- ابن الفوطي، عبد الرزاق بن أحمد (ت ٧٣١هـ/١٣٣٠م). **الحوادث الجامعة والتجارب النافعة**؛ تحقيق بشار عواد معروف، عماد عبد السلام رؤوف ٠- ط١ ٠- بيروت : دار الغرب الإسلامي، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.
- أبو الفداء، الملك المؤيد إسماعيل (ت ٧٢٣هـ/١٣٢٣). **المختصر في أخبار البشر** ٠- القاهرة، ١٣٢٥هـ/ ١٩٠٧م .
- الفاسي، محمد بن أحمد (ت ٩٥٨هـ/١٥٥١م). **تاريخ علماء بغداد** ٠- بغداد، ١٣٥٧هـ/١٩٣٨م.
- القفطي، أبو الحسن جمال الدين علي بن يوسف (ت ٦٤٦هـ/١٢٤٨م). **تاريخ الحكماء** .
- ابن كثير، عماد الدين إسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤هـ/١٣٧٢م). **البداية والنهاية** ٠- بيروت، ١٣٦٤هـ/ ١٩٤٤م .
- الكتبي، أبو عبد الله محمد بن شاكر (ت ٧٦٤هـ/١٣٦٢م). **فوات الوفيات** ؛ تحقيق إحسان عباس٠- بيروت : دار صادر .
- المقدسي، أبو شامة عبد الرحمن بن إسماعيل (ت ٦٦٥هـ/١٢٦٦م). **ذيل الروضتين** ٠- بيروت: دار الجيل .
- المنذري، عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله (ت ٦٥٦هـ/١٢٥٨م). **التكملة لوفيات النقلة**٠- ط٢ ٠- بيروت : مؤسسة الرسالة، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.
- المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي (ت ٨٣٢هـ/١٤٢٩م). **الخطط المقريزية المسماة المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار**، د.ط، مكتبة الأدب (د.ت) . **السلوك لمعرفة دول الملوك**؛ تحقيق محمد عبد القادر عطار ٠- ط١ ٠- بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.
- النويري، شهاب الدين أحمد (ت ٧٣٢هـ/١٣٣٢م). **نهاية الأرب في معرفة فنون الأدب** ٠- ط١ ٠- القاهرة، ١٩٢٣م.

- النعيمي، عبد القادر محمد بن عمر (ت ٩٢٧هـ/١٥٢٠م). **الدارس في تاريخ المدارس** ؛ تحقيق جعفر الحسن ·- القاهرة، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
- ابن واصل، جمال الدين محمد بن سالم (ت ٦٩٧هـ/١٢٩٧م). **مفرج الكروب في أخبار بني أيوب**، ج٤ ؛ تحقيق حسنين ربيع ·- القاهرة : دار الكتب، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م .
- اليونيني، قطب الدين أبو الفتح موسى، (ت ٧٢٦هـ/١٣٢٥م). **ذيل مرآة الزمان** ·- حيدرآباد - الدكن: دار المعارف العثمانية، ١٣٧٤هـ/١٩٥٤م .
- اليافعي، عبد الله بن أسعد، (ت ٧٦٨هـ/١٣٦٦م). **مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان** ·- القاهرة : دار الكتاب الإسلامي، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م .

المراجع المطبوعة :

- تسيهير، جولد . **التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية** ·- القاهرة، ١٩٣٧م .
- ربيع، حسنين . **النظم المالية في مصر زمن الأيوبيين** ·- القاهرة، ١٩٦٤م.
- عبد العاطي، عبد الغني. **التعليم في مصر زمن الأيوبيين والمماليك**·- القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٤م.
- علي، محمد كرد . **خطط الشام** ·- ط٢ ·- بيروت، ١٣٩١هـ/١٩٧١م.
- غنيمة، محمد عبد الرحيم . **تاريخ الجامعات الإسلامية** ·- بيروت، ١٩٩٥م .
- معروف، ناجي . **تاريخ علماء المستنصرية** ·- ط٢ ·- بغداد، ١٣٨٤هـ/١٩٦٥م .